الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

المركز والهامش في رواية "الحي الخطير" لمحمد بنميلود

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبين:

- خير الدين بن ختال
- حياة بومليل

إشراف الأستاذ:

لونيس بن علي

أعضاء لجنة المناقشة:

د. أية الله عاشوري .....رئيسا

د. لونيس بن علي .....مشرفا و مقررا

أ. عدنان فوضيل ..... ممتحنا

السنة الجامعية:

2020-2019

إهـــــــداء

إلى التي لو أصنع من القمر رسما في عقد لها لن أوفي حقها..

حبيبتي المرحومة أمي..

على الذي رسم الشيب خطوطه على شعره لأرتقي..

والدي العزيز...

إلى رياحين الودّ والعطاء إخوتي وأخواتي..

إلى سندي في هذه الحياة أخوالي وخالاتي..

إلى رفيق الدرب وراسم البسمة خطيبي كريم

إلى مشرفنا الدكتور بن علي لونيس الذي كان نعم المشرف الموجه

إلى كل أساتذتنا الكرام

أهديكم ثمرة تعبي

فانتم أهل للإهداء.

ياة بوملیل

إهـــــــداء

إلى من أفنت العمر لترسم درب نجاحي وتربت على كتفي دعما وحنانا

حبيبتي والدتي.....

إلى من سهر الليالي وأفنى عمره لأجلي

والدي العزيز

إلى زهور العائلة التي تعبق بعطر الود والاحترام..

إخوتي وأخواتي...

خير الدين بن ختال

شكـــــــر وعرفان

لله الحمد كله والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع.. الذي نرجو أن يكون مفيدا لغيرنا من الباحثين من بعدنا..

بكل الحب والود والتقدير بما يليق بشخصه الكريم ومكانته، نتقدم بجزيل شكرنا إلى أستاذنا "بن علي لونيس" مؤطر هذا العمل الأكاديمي الذي صوب عند الخطأ وشجع عند الصواب.. فكان نعم المشرف الموجه ونعم المعلم الأستاذ.

أسمى عبارات الشكر والامتنان والعرفان لأساتذتنا الأفاضل:

على رحابة صدرهم وسعة أفقهم وكل ما قدموه لنا من توجيهات حكيمة وإرشادات سديدة ونصائح قيمة انعكست على إخراج هذا العمل في أحسن صورة.

أشكر بكل ود وعرفان أصدقائي وزملائي.....

على الدعم العلمي والمعنوي والتشجيع الدائم والمتواصل.

مقدمة

مـــــــقدمـــــــة:

أصبح العمل الروائي المعاصر العربي يبدي سعيا ملاحظا نحو ادراج المواضيع المسكوت عنها والحفر في طيات القضايا الاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية وتفكيك العلاقات واعادة قراءة الوضع ضمن رؤية إبداعية جديدة تعبر عن قلق الروائي وهواجسه ورؤيته الخاصة تجاه التيمة المختارة.

أخذت الرواية المغربية عموما ورواية "**الحي الخطير**" لـ"**محمد بنميلود**" في الفترة الأخيرة تتبنى هذا المسعى مضفية خصوصية على السرد المغربي مستلة اهم قضاياها من قاع المجتمع مصورة تحولاته التاريخية وصراعاته المختلفة وتطوراته محاولة تصوير الفرد وتأثير كل ذلك عليه ومعايشته النفسية والخارجية لها.

وينبع اختيارنا لمثل هذه الرواية لما لاحظناه فيها من اهتمام دقيق بالتفاصيل التي يعيشها المهمش في الحي الخطير بتصوير الشخصيات والفضاء والأحداث فيه ضمن ثنائية مركز وهامش وهو ما جعلنا نستل الموضوع بما تفرضه هذه المدونة والذي يعتبر موضوعا فلسفيا واجتماعيا شائكا.

نحاول من خلال التطرق إلى مثل هذا الموضوع الإجابة على سؤال محوري: **إلى أي مدى تمكن الروائي المغربي من إبراز جدلية الهامش والمركز في روايته؟ وماهي التمظهرات السردية التي أبانت عنها؟**

وللإجابة على إشكالية البحث اعتمدنا مراجع متنوعة منها ما خدم الموضوع بشكل مباشر على نحو: كتاب الهامش الاجتماعي لهويدا صالح ومنها ما خدم الموضوع بشكل غير مباشر ككتاب النقد الثقافي لعبد الله الغذامي.

وللضبط المنهجي للبحث ارتأينا تقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين ثم خاتمة، عرضنا في المدخل نشأة مختصرة للرواية المغربية باعتبار مدونة البحث كذلك وفصلا اولا نظريا موسوما بالتأصيل الاصطلاحي لمفاهيم البحث خصصناه لتحديد مفهومي المركز والهامش ثم العلاقة بينهما وأنواع الهامش عموما فيما تركنا الفصل الثاني المعنون بالمركز والهامش في رواية الحي الخطير لرصد تمظهرات الهامش وجدله مع المركز فيها.

وكأي بحث من البحوث لا يخلو بحثنا هذا من صعوبات واجهتنا أهمها غلق المكتبات وصعوبة التواصل بسبب الظرف الذي طرأ على العالم وهو جائحة كوفيد 19 إضافة إلى قلة البحوث التي تناولت الهامش والمركز تطبيقا وتنظيرا في الأدب خصوصا.

ومسك ختام البحث شكر موصول للأستاذ المشرف بن علي لونيس الذي أعاننا بإرشاداته القيمة ونصائحه النيرة وتوجيهاته العلمية كما لا يغيب عنها إيصال الشكر لكل من ساهم في إتمام هذا العمل واستواءه على ما هو عليه.

مدخل

مدخل: 1/ نشأة وتطور الرواية المغاربية:

لا يخفى على أحد اليوم أن الرواية في المغرب العربي قد عرفت تأخرا زمنيا ملاحظا بالرواية المشرقية نتيجة تخبط المغرب العربي الكبير في دوامة من الظروف الاجتماعية القاهرة ومعاناته مع الاستعمار الغربي، فأصبح الانشغال بالجهاد أهم من الاهتمام بالإبداع والفن.

يعتبر الأدب المغربي أدبا يجسد قواسم مشتركة بين البلدان المغاربية كاللغة والدين والتعرض إلى الاستعمار الغربي ومن هذه القواسم:

- ارتباط هذه النشأة بالحركات التحررية وحركات الإصلاح مما أضفى على الأدب المغاربي طابعا اجتماعيا وتسجيليا هدفه الأول مقاومة الاستعمار الثقافي.
- امتداد الموروث العربي المغاربي عبر الذاكرة خصوصا التراث الشعبي وتجليه في الكتابات المغاربية.
- التفاعل مع الكتابات المشرقية ومواكبة أساليبها.
- المثاقفة مع النتاج الغربي.[1]

وعرف الأدب المغاربي عموما في بداية السبعينات اهتماما واسعا بالقضايا الاجتماعية وتأثيرات الاستعمار عليه وسرعان ما اتجه الاهتمام أكثر إلى الرواية باعتبارها الجنس الأكثر استيعابا للقضايا والمضامين المختلفة وفي الثمانينات ركزت الرواية المغاربية على تصوير انكسارات الفرد وتمزقاته واستعادة عالم الطفولة خصوصا في حقبة تنامت فيها الخيبة بتحقيق المشاريع التنموية والنهوض بالبلدان المغاربية.[2]

---

[1] – ينظر: عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة المدارس للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص19–20.

[2] – ينظر: المرجع نفسه، ص20.

إنّ ميلاد أي رواية لا ينبثق من العدم فكما دفعت الظروف السياقية الاجتماعية والسياسية التاريخية بالرواية الغربية الى الظهور كذلك كان للرواية المغربية محفزات وعوامل لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها المغاربية.

ومن هذه العوامل "**عنصر المثاقفة المتأتي من ظروف الصراع والتوتر التي فرضت على الثقافة العربية بهذه البلدان في مواجهة الثقافة الفرنسية أو الثقافة الإيطالية بالنسبة لليبيا ففي إطار هذه المثاقفة ستولد نخبة جديدة بقدر ما ستقود النضال السياسي ستكون هي طليعة التجديد الثقافي والفكري. ومن باب هذا التجديد اتجاه هذه النخبة نحو استدعاء اشكال أدبية مستحدثة لكي تكون مجالا لطرح مشاكل الهوية والأنا ومشاكل العلاقة بالآخر.**"[1] ولعَّل هذا الدافع هو الشيء الوحيد الإيجابي الذي خلفه الاستعمار، فقد فتح الأعين أمام ثقافة أخرى تتحرك بخطى ثابتة نحو التطور والتقدم في كل مناحيه الثقافية والاجتماعية كما قدم خدمة جليلة من ناحية الموضوعات والتيمات برصد جدلية الأنا والآخر.

يضاف إلى هذا العامل الذي ولدته الظروف وخلقته دافع آخر ساهم "**في ظهور الرواية المغربية هو ما يمكن الاصطلاح عليه بالعامل الثقافي الأدبي المحض عامل وجود سيرورة من التحول النصي سيرورة كانت محكومة بنوع من التلاقح بين الأجناس الأدبية بدأ في القرن العشرين**".[2] فالأدب بحكم مواكبته الدائمة للتغيرات الاجتماعية لا يمكن أن يكون بمعزل عن التحول الفني فكل تغير يمس البنية الاجتماعية والثقافية يمس الوعي بالكتابة الروائية وآلياتها ومن هنا كان التداخل الأجناسي إحدى مفرزات هذا التداخل الثقافي.

[1] – حوار مع عبد الحميد عقار، الرواية المغربية، الواقع والتجريب، أجرى الحوار ميلود عثماني، رشيد الادريسي، مقدمات المجلة المغاربية للكتاب، ع14، 1998، ص11.

[2] – المرجع نفسه، ص.ن.

عرفت الرواية المغربية عموما ثلاث مراحل رئيسية تعد تحقيبا زمنيا تاريخي أكثر مما هو تحقيب فني أدبي هي:

1-1/ المرحلة التأسيسية:

تمتد هذه المرحلة زمنيا من تاريخ صدور أول عمل روائي إلى منتصف الستينيات، وبالضبط إلى سنة 1967، تاريخ صدور رواية (جيل الظمأ) لمحمد عزيز الحبابي. وتعود تسميتها بالمرحلة التأسيسية، لكون مجمل الأعمال المنضوية تحتها، وعددها تقريبا حوالي(28) عملا، يطغى عليها هاجس إرساء قواعد ممارسة روائية مغربية أولية، تسدُّ خصاص الموروث الثقافي العربي في هذا المجال، وتحاول محو آثاره المعرفية السلبية.

على أنه إذا كان هناك شبه اتّفاق على تاريخ نهاية هذه المرحلة، فإنَّ بدايتها ظلت، مع ذلك، محط خلاف قوي بين الباحثين إلى اليوم. فمنهم من أرجعها لسنة 1957، تاريخ صدور (في الطفولة) لعبد المجيد بنجلون، ومنهم من ذهب لما هو أبعد وربطها بتاريخ صدور (الزاوية) للتهامي الوزاني سنة 1942، أو (الرحلة المراكشية) لابن المؤقت سنة 1924.[1]

1-2/ المرحلة الواقعية:

وتمتد هذه الحقبة الزمنية من نهاية المرحلة التأسيسية إلى منتصف السبعينات تقريبا، وتتميز من الناحية السياسية بحصول المغرب على الاستقلال سنة (1956)، ودخوله مرحلة البناء والسعي الدؤوب لمحو آثار التخلف والاستعمار. خصوصا بعد الآمال الوردية العريضة التي علقها المغاربة

[1] – ينظر: عبد العالي بوطيب، الرواية المغربية ورهاناتها، ندوة في (الرواية المغربية: اتجاهات وأشكال) المنظمة من قبل شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، يومي 14/13 مارس 2002، تكريما للأستاذ والروائي المغربي محمد برادة، https://www.aljabriabed.net

على هذا الحدث السياسي الهام طوال مرحلة الجهاد الأصغر. لدرجة أصبح معها معادلا موضوعيا لبلورة كافة الأهداف التنموية الأخرى.[1]

وفي هذه المرحلة ظهرت رواية "دفنا الماضي" لعبد الكريم غلاب التي اعتبرت أول رواية مغربية تصور فترة الاستعمار وتسعى إلى إعادة بناء الهوية المغربية[2] ونفس الرأي يذهب إليه عبد الحميد عقار في اعتبار الرواية المغربية الأولى هي دفنا الماضي 1966 والتي حملت بعدا تأريخيا للأوضاع السائدة في المغرب[3].

بيد أنّ لباحثين آخرين رأي آخر يذهب إلى الإقرار بأن أول رواية مغربية هي رواية "في الطفولة" لعبد المجيد بن جلون التي صدرت بالمغرب في 1957 والتي تعتبر رواية سيرذاتية للروائي والتي تمثل محاولة جادة للخروج عن فن المقالة السائد أنذاك.[4]

وفي نفس السياق يندرج رأي "أحمد اليبوري" الذي تتبع" مسار الرواية العربية في أن الرواية العربية في المغرب لم تعرف تحقيبا وتصنيفا، ليستقر رأيه على انطلاقتها الحقيقية إلا في الستينيات والسبعينيات، وبلغت درجة تعتبر مؤشرة على رسوخ للكتابة الروائية على امتداد الثمانينيات والتسعينيات[5]

[1] – ينظر: عبد العالي بوطيب، الرواية المغربية ورهاناتها، ندوة في (الرواية المغربية: اتجاهات وأشكال).

[2] – ينظر: عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، ص29.

[3] – ينظر: المرجع نفسه، ص8.

[4] – محمد أمنصور ، استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2006، ص10.

[5] – سامية حامدي، التجريب السردي مقاربات في الرواية المغاربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث، اشراف: محمد لخضر زبادية، جامعة الحاج لخضر– باتنة، 2018/2017. ص43.

وقد تميزت هذه الأعمال من الناحية الفنية والفكرية والمضمونية، مع اختلاف في الدرجات طبعا، بطغيان مجموعة من الملامح، نجملها فيما يلي:

- تكريس هيمنة الطابع السياسي على الثقافي.
- إعلاء الجوانب الفكرية على الفنية.
- إعطاء الأولوية لوظيفة الأدب على حساب طبيعته.
- اعتبار الاجتهادات الفنية مجرد محاولات إبداعية شكلية فجة.
- تجلي بعض القضايا القومية (كقضية فلسطين مثلا).
- استحضار التاريخ المغربي الحديث والمعاصر كتيمة روائية بارزة.
- الحضور القوي لبعض الظواهر الاجتماعية التي تمس الفئات المحرومة.
- ظهور البطل الإشكالي.
- إسناد البطولة لمثقفي البورجوازية الصغيرة والمتوسطة.
- استخدام اللغة البسيطة الخالية تقريبا من كل ملامح البيان العربي الكلاسيكي.
- اعتماد الشروط الموضوعية في تحريك الأحداث الروائية، واستبعاد الصدف والمفاجآت المعمول بها سابق.[1]

[1] – عبد العالي بوطيب، الرواية المغربية ورهاناتها، ندوة في (الرواية المغربية: اتجاهات وأشكال) مرجع سابق.

رغم أنّ الرواية المغربية قد عرفت تأخرا كما هو الحال لبقية الروايات المغاربية باعتبار أنّ النهضة في المشرق أسبق من المغرب إلاّ أنّ هذا التأخر سرعان ما تم تداركه بوتيرة سريعة وبإصدارات كثيرة[1] .

1-3/ **مرحلة التجريب**:

وتتميز على الصعيد السياسي بالعديد من الأحداث الهامة، الداخلية منها والخارجية. والتي يمكن اعتبارها مؤثرا قويا كان له الوقع الكبير في تغيير مسار الأدب والفكر المغربيين. فعلى المستوى الداخلي تزامنت بداية هذه المرحلة وحدث المسيرة الخضراء سنة (1975)، لتحرير الصحراء، واستعادة الأقاليم الجنوبية المستعمرة من طرف الاستعمار الإسباني. حدث ساهم، باعتراف النقاد والدارسين، إلى حد كبير في تحقيق المصالحة الوطنية، واستعادة الأمة المغربية لصلابتها المعهودة في مواجهة المخاطر الخارجية. مما مهد الطريق واسعا أمام مسلسل الإصلاحات الديموقراطية، لتدشين ما أصبح يعرف في الأدبيات السياسية بمغرب العهد الجديد.[2]

أهم جانب لوحظ في الرواية المغربية في هذه المرحلة هو اشتغالها البارز على التراث القديم "**ومن أهم التجارب الروائية التي تفاعلت مع التراث، في مضمار الرواية المغربية، نذكر تجربة الروائي الميلودي شغموم الذي قدم تجربة متميزة تتكئ على السرد العربي الأثيل خاصة في رواية: "خميل المضاجع" 1977 ورواية "الأبله والمنسية وياسمين" 1982 ، ثم رواية "عين الفرس" 1988** [3]

[1] – ينظر: حوار مع عبد الحميد عقار، الرواية المغربية، الواقع والتجريب، ص7

[2] – ينظر: حوار مع عبد الحميد عقار، الرواية المغربية، الواقع والتجريب، ص8.

[3] – طارق غرماوي، الرواية المغربية استعارة التاريخ ونقد السلطة، مجلة الخطاب، مج13، ع1، ص152.

بيد أن هذه " **العودة إلى النص التراثي هنا لا تعني الاستنساخ الفج للتراث بل تعني إعادة إنتاجه ضمن سياق جديد ورؤية مختلفة وصياغة مغايرة لملامسة قضايا الراهن وأسئلته الملحة. إنها تندرج ضمن استراتيجية فنية واعية تسعى لتقويض النماذج المبتذلة، ونقض الأنماط التقليدية المستهلكة، وتجاوز المضامين المكررة**[1] التي سبق واستهلكت من طرف الروائيين، فهذا الاستلهام للتراث يعبر بالدرجة الأولى عن وعي الروائي المعاصر بجمالياته وبقيمته الفنية وبما يحققه من ربط بين الماضي والحاضر.

وليس استلهام التراث الميزة الوحيدة التي عرفتها كتابات هذه المرحلة التجريبية فمن المميزات التي امتاز بها الخطاب الروائي المغربي أيضا، مايلي:

- ✓ تجاوز عن الأنماط الروائية السائدة التي تقوم على الوصف المطول والحوارات الكثيرة والمباشرة في عرض القضايا.
- ✓ تجاوز تقنيات الحكي الكلاسيكي وذلك بتكسير البنية التراتبية للأحداث.
- ✓ تكسير خطية السرد، تنويع الرؤى السردية، وهدم سيطرة السارد العالم بكل شيء وفتح المجال امام تعدد الرواة.
- ✓ استغلال التراث واعتماد البعد العجائبي،
- ✓ الحد من أهمية الحكاية بتقليص حجم الأحداث ومنح الفرصة للشخوص في السرد.[2]

كما تمتاز الرواية المغاربية بمجموعة من السمات والخصائص برزت أكثر في العقدين الأخيرين لأجملها الباحث " محمد تازي" [3]فيما يلي:

---

[1] –المرجع نفسه، ص.ن.

[2]– عبد العالي بوطيب، الرواية المغربية ورهاناتها، ندوة في (الرواية المغربية: اتجاهات وأشكال).

[3] – محمد عز الدين التازي، الرواية المغربية وتحديث الأشكال، ندوة المغرب ديناميات سياسية وثقافية، 13–16 ماي ، غرناطة، 2008، ص11–12.

- الشذرية وحضور خطاب الذاكرة.
- حضور الأزمنة الثلاثة في زمن واحد
- الاشتغال على اللغة بمستوياتها التعبيرية والدلالية وانشاء لغة وصف ولغة شعرية في مقاطع محددة من الرواية
- التذويت ونقل خطاب المجتمع إلى خطاب الذات.
- الهذيان كتقنية سردية وآلية جديدة في الحكي.
- انفتاح المكان على امكنة متعددة وتعدد الفضاءات والاشتغال عليها.
- تعدد الأصوات والرواة في الرواية.
- التعدد اللغوي والتهجين وتنويع الملفوظات.
- التشظي البنيوي وانكسار بنية الحدث.

لقد أضحت الرواية المغربية المندرجة في خانة الرواية المغاربية "**تُحاكي في عمقها التخييلي، وثرائها الفّني والموضوعاتي، أرقى الروايات العالمية الغربية منها والمشرقية، ولعلّ بنيتها الّتفاعلية، ونمطها الحواري المنفتح على شّتى الأنساق الأدبية وغير الأدبية، هو ما جعلها تؤدي وظيفتها الّنفسية والاجتماعية والفنية على أتم ما يمكن تأديته، كما أن طابعها المتمرد على قواعد وقوانين الكتابة السردية، جعلها تتجاوز، وبكلّ انسيابية، سمات الانغلاق والرتابة والجمود الذي عرفته طوال سنين عديدة من تاريخ نشأتها.**"[1] فشهرة وجمالية وابداع الرواية المغربية يكمن في مسايراتها الدائمة لتغيرات الكتابة وجمالياتها وكسرها الدائم للمألوف والمعتاد من الكتابات السابقة.

[1] – سهام حشايشي، تشظي السرد وتداخل الخطابات في الرواية المغاربية، مجلة الخطاب، مج13، ع2، 2018، ص148.

مما يلفت الانتباه اليوم هو عودة الرواية المغربية إلى القضايا الاجتماعية وتصويرها بشكل نقدي تحليلي كما اهتمت بالعودة إلى التاريخ فقد أصبحت الرواية المغربية التجريبية "**ذات المنحى التاريخي قد جسدت مقولة (الرواية تاريخ من لا تاريخ لهم)، إذ عبرت عن صوت المهمشين والمقموعين، يحدوها في ذلك رغبة في البحث عن الوجود الإنساني، لا عرض الوقائع التاريخية، فالتاريخ يقرأ من جديد ويكون موضع مساءلة – شأنه شأن كل المسلمات – فهدف الروائي ليس التوثيق بقدر ما هو إمتاع القارئ بعمل تخيلي فني متميز.**[1] ومن هنا يمكن اعتبار روايات الهامش روايات تحاول ممارسة التجريب على صعيد التيمة وتعيد الاعتبار لما تم اقصاءه بوصفه باللاأدبي.

[1] – سامية حامدي، التجريب السردي مقاربات في الرواية المغاربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث، اشراف: محمد لخضر زبادية، جامعة الحاج لخضر– باتنة، 2018/2017.ص277.

الفصل الأول

1/ مفهوم الهامش والمركز:

1-1/ مفهوم الهامش:

1-1-1/ الحدُّ اللغوي:

يعتبر التحديد اللغوي للكلمة عتبة ضرورية أولى تسمح بتقصي مدى ارتباط المدلول اللغوي بالمفهوم الاصطلاحي وفهم سبب استثمار الدارسين لكلمتي الهامش والمركز لجعلهما مصطلحين حاملين لمفاهيم متعددة.

وردت كلمة الهامش في قاموس المحيط الفيروزبادي على هذا النحو: "**الهمش: الجمع، ونوع من الحَلْب والعضِّ. وهَمشَ كضرب وعلم: أكثر الكلام. وامرأة همشى كجزمى كثيرة الجَلَبة. والهامشُ: حاشية الكتاب، واهتمشوا: اختلطوا وأقبلوا**"[1]. ويحملنا هذا التعريف إلى ملاحظة معاني مفردة الهامش واتساعها منها: الجمع، الاكثار من الكلام، الاكثار من الجلبة بما يحدث الفوضى، الحاشية في الكتاب، والاجتماع والاختلاط.

جاء في "لسان العرب" لابن منظور: "**همش: الهمشة، الكلام والحركة، هَمَشَ وهَمِش القوم فهم يهمشون، وتهامشوا وامرأة همش الحديث: بالتحريك الكلام وتجلب ويقول ابن الأعرابي: الهَمش والهَمْشُ: كثرة الكلام والخطل في غير صواب**"[2] ولا تختلف هذه المعاني الموردة عن المعاني التي ذكرها الفيروزبادي.

---

[1]– محمد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص450

[2]– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، لنان، د.س، مج 6، ص365.

هذا يعني أنّ مفردة الهامش تكتسي معان مختلفة بتغير السياقات وبتغير الاشتقاقات اللغوية لها فالهمش الحلب والعضُّ ان تعلق الأمر بالحيوان وهي الاكثار من الكلام والاستزادة فيه إن ارتبطت الكلمة بالكلام، غير أنّ المستقر لدى الأغلبية هو المعنى الدال على حاشية الكتاب والتي تأخذ على عاتقها الابانة والشرح والتعقيب والتفصيل عن محتوى المتن تفاديا لحشو المتن بزوائد قد تخرج به عن فائدته.

ولا يبتعد المعنى السابق عما ذكر أيضا في معجم الوسيط ف" **همش الكتاب: علق على هامشه ما يعنُّ له. هامشه في كذا: عاجله فيه. (اهتمش) القوم: كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا. (تهامش) القوم: اختلط بعضهم ببعض وتحرَّكوا، (تهمَّش) الشيء تآكل وتحكَّك. (الهامش): حاشية الكتاب. وفلان يعيش على الهامش: لم يدخل في زحمة الناس**"[1]. بيد أنّ معجم الوسيط يشير إلى الهامش الاجتماعي في اعتبار فلان يعيش على الهامش ذات دلالة على عدم سيره في زحمة الناس وهذا يعني بالضرورة اختياره طريقا مغايرا وحذوه سبيلا غير سبيلهم ولعل في هذا يكمن الاقتراب من المفهوم العام للهامش الاجتماعي.

تشير كلمة الهامشي في الأصل اللغوي الأول إلى شيء يكتب أو يطبع على هامش الصفحة أو حاشيتها، ثم امتدّ معناها إلى حقول معرفية أخرى كالنبات والحيوان وعلم النفس والاقتصاد والجغرافيا والسياسة والثقافة، ليعني كل ما ارتبط بالحواف أو الأطراف، ومع أوائل القرن العشرين

[1]– المعجم الوسيط منشورات مجمع اللغة العربية، ط4، منشورات مكتبة الشروق الدولية، 2004، مصر، ص994.

أصبح الهامشي مصطلحا مبتعدا عن سياقه اللغوي، يستعمل للدلالة على فرد أو مجموعة معزولة أو غير متوائمة مع الثقافة المهيمنة.[1] على ثقافات المجتمع الأخرى التي تم تهميشها.

هذا فيما خصّ بعض المعاجم العربية أما حسب المعجم الفرنسي فالهامش "**يأخذ دلالات متعددة حسب السياق والاستعمال وزاوية النظر فهو المساحة البيضاء في محيط النص المخطوط أو المطبوع كما يعني فارقا في الفضاء كما في الوقت ويعني كذلك المجال المتروك بين حدود معينة كالهامش .....أي ذلك المجال أو الحيز ما بين حدي الاستبداد والديموقراطية، كما نقول على هامش الشيء أو الحدث أي خارج عنه غائب عن معطياته ونقول يعيش في الهامش أي يعيش بدون مراعاة المجتمع**"[2]. وعلى ما يبدو لا يحمل المدلول اللغوي الأجنبي في هذا التعريف للهامش عدة معانٍ ولعل ذلك يعود لقلة اشتقاقاتها مقارنة باللغة العربية غير أنّ الاتفاق بين الحدَّين الأجنبي والعربي واقع في جعل الهامش ذو دلالة على البياض أو الحاشية على متن الكتاب.

1-1-2/المفهوم الاصطلاحي:

تشكل محاولة تحديد مفهوم الهامش والمركز هاجسا مستعصيا على الباحثين نتيجة لما يمتازان به من علاقة مضطربة غير محددة بينهما. فالهامش "**يضع نفسه ضمن فضاء متعدد الأبعاد والضفاف فهو يعلن منذ البداية عدم انفصاله عن المركز... إلاّ أنّ المهم هنا هو أنّ الهامش**

[1]– حسن عطار الركابي، مركزة الهامش في رواية أصغر أكبر لمرتضي كزار، مجلة أوروك للعلوم الانسانية، ع1، مج 12، 2019، كلية الأدب، جامعة القادسية، ص158

[2]– هويدا صالح الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص38-39.

لا يحدد تحديدا مكانيا ولا اتجاها ولا مذهبا وأنماه وحركة وهجرة وتنقل."[1] إنهما مفهومان متلازمان وحاضران في كل المجلات تقريبا ولكل مجال تصوره الملائم له ولأنه لا يثبت ولا يستقر ويغير أحيانا من موقعه فينقلب المركز هامشا أو العكس نجد الدارسين كل يحددهما حسب رؤيته وان كان هناك اتفاق ملاحظ على وجود فعل اقصاء وتهميش.

أطلق مصطلح الهامش أول ما أطلق ليشير إلى جماعة بشرية، وحركة تقف على هامش المركز، وتتمرد عليه في الغرب، فقد ظهرت مجموعات كثيرة تسمى بالهامشيين الذين قادوا حركات هامشية.

ويرجح (أحمد شراك) نشأة هذه الحركات إلى المجتمع الأمريكي في العقد الثالث من القرن العشرين (1920–1930م) حيث استقطبت اهتمامات السوسيولوجيين الأمريكان المنتمين إلى مدرسة شيكاغو. وتعتبر هذه الفترة التاريخية (أو الزمنية على الأصح) الفترة التي كثرت فيها الأدبيات والأحاديث حول مجموعات "كيدس" والكانج، هذه المجموعات التي كانت تنحدر من حركة الهجرة إلى أمريكا.[2] فلا يستغرب إذن أن يرتبط الهامش بالمجتمع باعتبار السوسيولوجيين أول من لفتوا الانتباه له.

لقد اختلف العلماء في بدايات ظهور المصطلح، فمنهم من يرى أن الهامش اول ما أطلق كمصطلح يشير إلى جماعة بشرية، وحركة تقف على يسار المركز في المجتمع الأمريكي، فظهرت مجموعات كثيرة تسمى بالهامشية أو الحركة الهامشية، وبينما هناك معظم الدراسات الاجتماعية

[1] – عبد السلام بنعبد العالي، العقلانية ساخرة، دار توبقال للنشر المغرب، ط1، 2004، ص59.

[2] – ينظر: هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، دار النشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2015، ص47.

يرون ان النشأة الأوروبية لمفهوم الهامش في السبعينات من القرن الماضي مع بروز ظواهر اجتماعية متعددة استدعت استخدام طريقة تحليلية للأوضاع السائدة في المجتمع.

وعليه "**يتشكل مفهوم الهامش بحسب النماذج التي وضعت له من ميدان لآخر وهي نماذج قابلة للتفريغ على قاعدة العلاقة بين طرفين أحدهما مركز والثاني هامش وتتولد هذه الثنائية مجموعة ثنائيات أخرى يدرجها أصحابها ضمن تصورات ثنائية أخرى تحكمها علاقات جدلية وتآلفية.**[1] أي أنّ مفهوما المركز والهامش قد يشيران بطبيعة الحال إلى وجود هيمنة الأول على الثاني لكنهما لا يتحددان في قالب مفهومي ثابت، فإذا اعتبرنا الهامش الاجتماعي كل ما هو مقصي ومنبوذ نكون قد حددناه في إطار داخل المجتمع في علاقة أفراد المركز به، وإذا سقنا مصطلح الهامش للدلالة على تفاسير القرآن والأحاديث نكون قد جعلناها هامشا مقارنة بمركزية القرآن والسنة وهكذا يتحدد مفهوم الهامش الديني لأننا حددنا نماذجا منقولة من مجال الدين وهذه الأمثلة توضح الاتساع الكبير لمفهومي المصطلحين خصوصا بعدم ثبات العلاقة بينهما فقد تكون تآلفية أو صراعية ضدية أو تكاملية، خصوصا باتخاذ الهامش أبعادا كثيرا باختلاف فعل التهميش الذي قد يتخذ صورة تهميش فكري أو حضاري أو ثقافي أو إيديولوجي أو سياسي أو عرقي أو جنسي. ولذلك يصعب حصر الهامش في مجال دون آخر.[2]

شغل حضور الهامش مساحة واسعة في البحوث الحديثة عبر مراحل مختلفة وقد أشاد النقاد بوجود هذا الأدب ولا يمكن لأين كان أن ينكر فضله في الانتباه إلى تفاصيل المجتمع الغائبة عن

[1]– جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوعة التهميش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجازرة، جامعة المسيلة، الجزائر، ص05.

[2]– أحمد مداس، المركز والهامش وحقيقة الشرعية في التراث، مجلة كلية الآداب واللغات، ع13، بسكرة، جوان 2013، ص28.

الأنظار وتسليطه الضوء على حقيقة أخرى تغاير الفهم المكون حولها، فالكتابة حول المرأة مثلا كانت سببا مباشرا لإعادة الاعتبار لها وخلق نظرة أخرى أكثر تكاملا عنها لإعادة فهم هذا الكائن من وجهة نظرها هي لا من وجهة نظر الرجل لها.

1-2/ مفهوم المركز:

1-2-1/ التحديد اللغوي:

ترد لفظة (ركز) في معجم لسان العرب كما يلي: "**ركز: الرَّكزُ: غَرْزك شيئا منتصبا كالرمح ونحوه، تركزه ركزا في مركزه، وقد رَكَزه يرْكُزُه ويَرْكِزه ركزا وركَّزه: غرزه في الأرض.**"[1]

يمتاز المركز حسب تحديده اللغوي بالثبات والاستقرار وهي أشبه بحال المركز في مفهومه العام إذ يمثل عنصرا يحاول تثبيت نفسه والحفاظ على استقرار مركزه.

1-2-2/ المفهوم الاصطلاحي:

يعد المركز الأساسي والمستقر، وهو يدل على كل ما هو تعيين ودو شأن عظيم في جميع الجوانب خاصة السياسي والاجتماعي والفكري ونعتبره القوة والركيزة فهو يعتمد على البنية الفوقية لهرم المجتمع أي أنه يهتم بطبقة الأسياد عن العبيد وطبقة الأغنياء عن الفقراء. وبذلك فإن المركز هو كل سلطة تُهيمن على الصعيد الاجتماعي والسياسي فمن هنا كلمة المركز لها عدة دلالات بكونه يعدّ من المصطلحات المثيرة للاهتمام **هو الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه البنية الفوقية**

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص214.

(القانوني والسياسي) والذي تتصل به أشكال محددة من الوعي الاجتماعي، ويكيف نمط إنتاج الحياة المادية بشكل عام عملية الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية[1]

لقد طرح أدم سميث تعريفا آخرا للمركز حيث اعتبره اليد الخفية ومصدرا للقوة والسيطرة خاصة في المجال الاقتصادي حيث يقول **هو وصف للغول الاقتصادي الذي يقود نفسه بنفسه ولا يخضع لأي سلطة خارجة من حيث أنه أقوى من كل السلطات، واليد الخفية تتحرك بإيقاع ذاتي على ثنائية المنفعة الخاصة من جهة والتنافسية من جهة ثانية**[2]. فالمركز هو النموذج الأعلى الوحيد الذي يسير أمور الاقتصاد ويضع التجارب التجارية التبادلية، ومن هنا يقوم السوق، ويتولى تحريك نفسه بنفسه، فهو الركيزة الأساسية له قيمة تكمن في قدرته على المجالات فالدول التي تملك اقتصادا والتكنولوجيا هي دول المركز.

المركز هو شكل أنتجه التقدم التقني التكنولوجي والفني وإنتاج الخيرات التي تباع وتشترى وتدعم اقتصاد الأسواق الذي من خلالها يتحرر الفرد من كل قيود القديم، وبالتالي يسهل على عملية الإنتاج السريعة ومن ثم تصدر السلع المصنعة، وهذا يعود بربح والثروة الهائلة لدول المركز، وهذا ما نلاحظه في الدولة المتقدمة عكس الدول المتخلفة التي تعتمد على وسائل الإنتاج

[1] جون ستوري، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية، ترجمة: د. صالح خليل وفاروق منصور، هيئة أبو ظبي، ط1، 2014، ص18.

[2] عبد الله الغذامي، الليبرالية الجديدة، أسئلة في الحرية والتفاوضية والثقافية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2013، ص211.

التقليدية القديمة ومن هنا فإنَّ المركز مرتبط بالقوة. إنَّه "**نمط الإنتاج الذي يدعم الأسواق المعاصرة** "[1]

1-3/العلاقة بين الهامش والمركز:

يتلازم المركز والهامش كثنائية ضدية يستدعي ذكر أحدهما وجود الآخر فلا وجود للهامش في غياب المركز إذ أن المركز يبقى له الأولوية والصدارة والامتياز والمركزية في حين يبقى للهامش دور الخضوع والتبعية واللامركزية فالملاحظ على مفهوم الهامش بجميع اشتقاقاته (المهمش، التهميش، الهوامش،..) اشتراكها في تبني مدلول الاقصاء والتبعية والدونية. "**فإنَّ ما يمكن ملاحظته على الهوامش أنَّها تتحدد بناء على علاقتها بالمركز. فالخارج يتحدد بناء على الداخل وما ذلك لأنّ الهوامش تظهر في مفاهيم الداخل ومن ثم فالفقراء والمقصيون اجتماعيا يتحدد موقعهم في المجتمع الذي يصبغ عليهم الصفة أو تلك ويتموقعون بحسب العلاقة بالمركز توحي إلى مجموعة معايير خاصة بها مثل الاهتمام الاستهلاك وغيرها من المعايير**".[2] لكنّ هذه العلاقة قد تنحو منحىً آخر بتغيُر موقع الهامش، فالفقير قد ينقلب رئيسا ويصبح هو بدوره مركزا لكنَّ الأهم ألاَّ تكون في سعي هذا الهامش تغيير موقعه مساهمة في التكريس المتجدد لإقصاء الهامش الذي كان فيه.

وفقا لما سبق ذكره يمكن القول أنّ "**العلاقة بين المركز والهامش علاقة تتابعية وتلازمية وراء خلفية الصراع ولولا وجود المركز لما ظهرت هوامش كما أن المركز عامل محفز في كثير**

[1]- سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، ترجمة د. ممدوح يوسف عمران، دار النشر " المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، د. ط، 2015، ص 115.

[2]- جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوع التهميش والمهمشين، ص02

من الأحيان، لأنّه يخلق في الهوامش آمالا وأحلاما للرقي والتطلع إلى الأفضل ولذلك يخلق الحركية يستوجب الهيمنة والقوة والسيطرة على زمام الأمور.[1] وذلك من خلال رغبة الهامش الدائمة في المركزية فالمركز رغم محاولاته للسيطرة والهيمنة يشكل في جانب ما عنصرا مولدا للرغبة في الأفضلية التي يمتاز بها وأحسن طريقة ممكنة للهامش للتخلص من سيطرة المركز هي الاستحواذ على مكانه.

يبدو أنَّ المركز لا يخلو من محيط ولا يمكن للهامش أن يكون بلا متن فالمركز يشير إلى مستوى عال من التركيز حول الهيمنة والسيطرة والتي قد تتواجد في المدن الكبرى لتواجد مراكز التعليم والصحة والتجارة والبنوك ومختلف التجمعات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كما يحيل إلى النظم السلطوية حيث تمثل مركز القرار المتحكمة في سيرورة الأنظمة الحياتية المختلفة.

وكما أشرنا فإنّ المركز لا يمكن له أن يكتسب قيمته دون الهامش فلا تكتسب الرواية قيمتها دون العتبات الهامشية الموازية ولا الرئيس قيمته دون خضوع الشعب له وهكذا تبدو العلاقة بين المركز والهامش دائمة ومستمرة ومتكاملة أحيانا ينظمان بشكل ما الحياة في مختلف جوانبها.

يكتسي المركز قيمته من معايير غير ثابتة وقد تتغير على مرِّ الزمن "**ففي القرن التاسع عشر كانت العلاقات بين الأمم والشعوب علاقات قوة وكان مركز الأمة يقدر بعدد مصانعها ومدافعها وأساطيلها البحرية ورصيدها من الذهب ولكن القرن العشرين قد سجل في هذا الصدد**

[1]– عبد الرحمن تبرماسين وصورية جيجخ، إشكالية المركز والهامش في الأدب، ندوة في الهامش، مجلة المخبر، ع14، بسكرة، 2014، ص19.

تطورا معلوما وهو أنه قد أعلى من الفكرة باعتبارها قيمة قومية ودولية."[1] لذلك برز المركز والهامش كمفهوم لنظرية تعمل على تفسير التخلف وتعتمد على فكرة هي الاقتصاد العالمي الذي يتكون من الدولة المتقدمة التي تمثل مركز العالم والدولة المتخلفة او كما تعرف العالم الثالث التي تمثل هامش أو محيط هذا الاقتصاد ومن هنا تستحوذ الطبقات الرأسمالية على فائض القيمة.

ومن جهة مقابلة نعثر في دول الهامش على طبقية حادة تغزو مجتمعاتها فتستحوذ الأقلية على الثورة والسلطة وتعشير الأغلبية في فقر مذقع يجعلهم مهمشين. إذن يمكن القول بأنّ الثروة تسمح بامتلاك السلطة والتي تسمح هي بدورها بتشكيل طبقية تكرس لفكرة المركز والهامش وتولدهما لصالح المركز.

فالمركز هو النموذج الأمثل المكتمل الذي يحتذى به لهذا فهو يحظى بالرعاية من طرف السلطة لأنّه يحقق مصالحها ويستر عيوبها، أما الهامش فيطلق عليه كل ما هو دوني متروك ومتجاوز. وقد شاع مصطلح الهامش في السنوات الأخيرة شيوعا واسعا ولعّل ذلك من تأثيرات الأفكار الغربية ما بعد الحداثية، لذلك انتشرت ظاهرة التهميش منطلقة من فكرة التخلي والنبذ ومن هنا يمكن القول أنَّ المركز يختلف لذاته الأولوية والسبق والتعالي وهذا ما يجعله يتغذى من أوهام السيادة وهذه الثنائيات ممثلة في (الشرق/ الغرب)، (الغني/ الفقير) (الرجل المرأة).

تعود ظهور فكرة الهامش والمركز وورود علاقتهما إلى وجود "**تمايز بين الانسان المستضعف والأنسان الأعلى في سبيل التفرقة بين الثقافات التابعة التي تستند في مرتكزاتها إلى ثقافة المتبوع القادر على إعادة تشكيل هذه الثقافات التابعة بما يجعل منها غير قادرة على الخلق**

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط4، 1984، ص14.

والابتكار في مقابل ارتهانها للاستسلام والخنوع، وقد ولد ذلك صراعا بين قطبين هما قطب المركز في صورة الغرب وقطب الأطراف في صورة الشعوب والأمم التابعة بفعل هيمنة الكولونيالية الجديدة أو التبعية الثقافية المجردة من كل محمولاتها التي تضمنتها هويتها"[1] فالهامش في وجهه الحقيقي يحافظ على حقيقة الانسان ويصور المجتمع فيؤرخ لقيمه وعاداته ولعلاقاته بالثقافة والعلم والأدب والاقتصاد لذلك يجد نفسه مضطرا لكشف التأثيرات التي جعلته في الهامش موقعا نفسه في صراع مع المركز الذي قد يتعدى الحدود الإقليمية للحديث عن تأثيرات الغرب (الممثل للمركز) على الشرق (الممثل الهامش) بسعي الأول دائما إلى الإبقاء على تبعية الشرق له خصوصا فيما يتعلق بالثقافة مما يجعل الثقافة العربية والشرقية تحاول أن تصبح مماثلة للثقافة الغربية ولكن تبقى "**المسافة بين الواقع المعمول في الثقافة الوطنية (المصدر) والواقع المأمول في الثقافة الوافد (الهدف) تحكمها الرغبة في تسلق الثانية على الأولى.**[2] ليبقى الصراع دائما بين هامش ومركز.

ووفقا لهذا الرأي فأن كل ما يتعلق بالهامش محكوم عليه بالموت لأنَّه يتغذى من المحظور ويبتعد عما يألفه المركز وأكبر تقاطبية يعيشها العالم اليوم ثقافيا واقتصاديا وسياسيا هي ثنائية الشرق/ الغرب تبدو فيه تبعية الشرق أمرا حتميا للغرب.

ترد ثنائية الهامش/المركز ثقافيا في اللغة فقد ذكر العلماء العرب اللغويون أنّ اللفظ ذكر والمعنى أنثى[3] وهي ثنائية تكرس لقيمة اللغة باعتبارها الوعاء الذي يحمي المعاني من الاندثار

[1]– عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ص16.

[2]– عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل، ص92.

[3]– ينظر: عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص136.

وتشبيهها بالذكر يحيل إلى الثقافة الذكورية الأبوية التي لا تزال تعتبر الرجل هو المركز لأنه المصدر الذي يمنح الحياة. ولكن هذان الوجهان المتقاطبان أيضا "**من المنظور الاستراتيجي يلتقيان على جبهة واحدة وهي تحويل البحث الحضاري السوسيولوجي على هندسة بنيوية مركزة شبيهة بالقرص المضغوط ولكنها مشحونة من الداخل بشفرة أيديولوجية مهيمنة على المجتمعات الهامشية.**"[1] ومن هذا المنطلق يتطلب تحليل ظاهرة الهامش في أي مجال قراءة مزدوجة لطبيعة موضوع الهامش في حد ذاته بوجهة ثنائية فلا يمكن أن نتحدث عنه بمعزل عن المركز سياقيا وعليه نجد الحصار السوسيولوجي يسعى على تقوية العلاقة الجدلية بين المركز والهامش فبوجود المركز توجد مجتمعات الهامش التي تخضع لإديولوجيته ويوجد بالتالي أدبها ولغتها وثقافتها الذين يرصدون هذه العلاقة ومن هنا فالحوار السوسيولوجي الغربي بشكل عام يسير في اتجاه عولمة البنية الحضارية ظاهريا لكنه يسعى فعليا الى تكريس هيمنته خصوصا في الاسهام في اقصاء هذه العوامل وبالتالي الإبقاء على هامشية صوت أقوامه.

يعتبر كلا من المركز والهامش "**ثنائية ضدية تكرس الأول وتهمش وتلغي الآخر وإذا بحثنا فإننا سنجد أنّ هذه الثنائية تجمع بين شيئين تكونت بينهما علاقة ضدية تنافرية شبيهة بالصراع الازلي بين الذات والآخر**"[2] فعلاقة المركز والهامش كعلاقة الأنا بالآخر لا تتضح في جانب معين فالفرد يتعامل مع أنوات غيرية كثيرة لا يعاملها ذات المعاملة ولا تتعامل هي بدوره معه بنفس الوجهة وعليه تعتبر علاقة الهامش بالمركز علاقة غير ثابتة فهي تكاملية بين الرجل والمرأة عموما واضطهادية قمعية اقصائية بين السلطة والمثقف و صراعية بين الشرق والغرب،

[1]– عزيز لعكايشي، الحوار مع الآخر، بين ثقافة في عصر الهامش وثقافة المركز في عصر العولمة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص181.

[2]– مشقوق هنية وسليمة خليل، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، ندوة في أدب الهامش، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، ص59.

حتى في هذه العلاقات التي مثلنا بها تبقى الاستنتاجات نسبية باختلاف نسبية التعامل. وهي ليست حديثة العهد فهي ممتدة في الزمن وتتخذ اشكالا مختلفة في المجتمعات، بيد أن القول بالتضاد الدائم بين المركز والهامش ليس دائما صحيحا فالأب في الأسرة قد يمثل المركز والأم الهامش بالنسبة لمحور السلطة فتخضع الأم وتطيعه وتلبي طلباته لكنّ ذلك ضمن علاقة قوامها الاحترام والمودة والخضوع الذاتي وبإرادتها له.

نشير إلى أنَّ تعيين المركز والهامش مرتبط بنمط السلطة وطبيعتها في تبنيها لمرجعية ما كالدين والأخلاق أو العرف الاجتماعي أو المعرفة العلمية فيكون الصراع على أساس الشرعية الدينية أو الطبقية أو العرقية أو المعرفية[1]

ومن خلال هذا القول يتضح أنه لا وجود للمركز من دون الهامش الذي يكمله إما بتوضيح أو تفسير لما هو غامض، أو اضافة معلومة أو اتمام ناقص، وغالبا ما تكون التهميشات في النصوص أهم من المتن في حد ذاته مما يجعله يصبح مركزا هو الاخر حسب اهتمام الباحث أو القارئ.

2/ أنواع الهامش:

2-1/الهامش الاجتماعي:

ينهض المجتمع على نظام معين يحكمه ويسير وفق نهج اجتماعي محدد تضبطه مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والثوابت الاجتماعية ولعل الارتكاز على توليد نفس المسار هو ما يخلق مجددا الطبقية ويصنع الهامش في المجتمع. والهامش قد يكون ممثلا في "**كل أنواع المنبوذين**

[1]– أحمد مداس، المركز والهامش وحقيقة الشرعية في التراث، ص28

والمقصيين من قبل جماعة ما أو من قبل مجتمع بأسره كالسود والفقراء والنساء وغيرهم"[1] وهذا الاقصاء قد لا يحمل أي مبررات مقبولة شرعا وقانونا وأخلاقيا فإقصاء المجرم قد يكون مبررا بالخوف منه وبمخاطر تصرفاته تجاه المجتمع لكننا لا يمكن أن نبرر التهميش الممارس ضد النساء أو ضدَّ السود أو الفقراء.

ومن هذا المنطلق فالفرد المهمش يعني الفرد الذي ليست له أي سلطة ونفوذ بل فاقد لكل القدرات على تحويل موازين القوى لمصلحته وان النظر الى المهمش تقترن بالفهم السلبي الضعيف الذي يرمي الى أن هذا المهمش ناقص أو ضعيف أو أنه لا يرقى أن يعيش الحياة كما يعيشها أصحاب المركز.

يذهب بعض الباحثين والنقاد إلى الخلط بين الهامش الاجتماعي والانحراف فاعتبروا المنحرفَ عنصرا في الهامش لكنّ محمود اسماعيل يرى "**أن المهمشين ليسوا جماعة منحرفة بل يراهم جماعات متمردة على دكتاتورية السلطة /المركز ويرى أنَّ لهم ثقافتهم الخاصة ولهم أدبهم الذي يعبر عن وضعيتهم المهمشة في مجتمعهم وموقفهم الايديولوجي من قضايا عصرهم**" [2] فالمرأة بوصفها هامشا لا يمكن أن تعبر بنفس المعايير والأساليب التي يعبر بها الرجل.

وفي هذا الجانب يمكن أن تعد النماذج الادبية القديمة أمثال الأدب الشعبي وأدب الزهد وأدب التصوف من منتجات الفئات المهمشة في المجتمع لأنهم من الطبقة المثقلة بالهموم والآلام والتي جاءت لتعبر عما قاسوه وألم بهم.

---

[1]– أحمد مداس، المركز والهامش وحقيقة الشرعية في التراث، ص28

رين الاجتماعي والأدبي، مجلة مقاليد، ع14، 2018، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ص29.

[2]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص110

تعرض الناقد مجدي توفيق للتعريف بالمهمشين واعتبرهم "**الفئة أو الجماعة التي تقف خارج العملية الإنتاجية للمجتمع سواء كان ابتعادها لأسباب عرقية أو جغرافية أو اقتصادية.**"[1] وفي هذا التعريف توسيع من دائرة الهامش ليكون ذا مدلول انتاجي فالبطّال الذي لا عمل له يعتبر هامشا على المنتج الكادح وهذا ما يشكل معيارا آخر للحكم على هامشية الفرد.

وانطلاقا من الإصرار على فكرة أنَّ الهامش متغير بحسب الظروف الزمنية والمكانية فإنَّه من الجدير التنويه على أنَّ النظرة الى المهمشين عموما لم تحظ بالرعاية من طرف الدولة أو أي مؤسسة، حيث تقرر أنَّ النظرة على المهمش لا تكاد تتجاوز نظرة طبقة إلى أخرى أقل منها قيمة ولذلك يجرى نبذه واقصاءه. ولكن يجب التأكيد أن الاقصاء والتهميش لا يقتصر على فئة دون أخرى، إنما يشمل كل أشكال وأنواع المنبوذين من قبل جماعة محددة أو المجتمع، مثل المثقفين والنساء والسود وغيرهم ممن يعدون أنفسهم بعيدين عن مركز ومحور السلطة في المجتمع، كما أنَّ مفهوم الهامش لا يقتصر على بعد واحد فهناك أبعاد متعددة للتهميش الاجتماعي والثقافي والديني والإيديولوجي وحتى الرمزي.[2] حين يتعلق الأمر مثلا بالإطار البيداغوجي كإقصاء المعلم لمشاركات التلميذ وتهميشها في الدرس.

لقد شغل حضور الهامش مساحة كبيرة من الاهتمام لرصده مراحل مختلفة وتحولات متنوعة في مختلف مراحلها، إذ ذهب العديد من الكتاب إلى الاحتفاء بهذا النموذج ووجدوا فيه فضاء مفتوحا للتعبير عن الهم الانساني والأحلام والإحباطات التي يعاني منها الفرد.

[1]– أحلام بن الشيخ، الواقعية وصناعة رواية المهمشين في المنظورين الاجتماعي والأدبي، ص29.

[2]حسن عطار الركابي، مركز الهامش في رواية السيد أكبر لهوت في كزار، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، العدد الأول، المجلد الثاني عشر، 2019، جامعة القادسية | كلية الأدب، ص158

2-2/ الهامش الفلسفي:

مما لا شكَّ فيه أنّ الفلسفة مهدُ التفكير المتأمل في شؤون الحياة المختلفة، بيد أنَّ الملاحظ اليوم هو عودة الحديث عن أهمية الفلسفة واستعانة مجالات مختلفة بأفكارها، لتأخذ الفلسفة مركزية أكبر بعدما كاد العلم أن يهمشها. ولعل الحديث عن الهامش الفلسفي حديث عن شقين:

- ✓ الهامش في الفلسفة كموضوع.
- ✓ الفلسفة كهامش يتمرد على المركز(الدين، السياسة، الأخلاق..).

يصعب الحديث عن هامش محدد في الفلسفة وذلك لاختلاف اتجاهاتها من جهة ولتنوع القضايا المطروقة، ولكن من الممكن الإشارة إلى بعض الفلسفات التي أظهرت ما يمثل المركز أو الهامش بالنسبة لها، ومن ذلك الظاهراتية التي "**تعني البحث عن معنى ما يظهر**"[1] أو بمفهوم آخر تعتبر "**الظاهراتية دعوة للإقبال على ماهيات الأشياء**" [2] أي أنَّها تسعى إلى إيجاد معنى يوضح قيمة الشيء الملاحظ وفائدته في الوجود ومعناه الحقيقي فقد يعلم الإنسان بأنّ الكرسي شيء مادي يدركه بحواسه لكن لن تكون للكرسي قيمة ولا معنى له ما لم يفهم الإنسان دوره وفائدته التي تسمح بالجلوس عليه وهذا يعني أنّ الشيء الموجود لا تتحدد قيمته إلاّ بالذات وبالتالي نجد أنفسنا أمام ثنائية الذات/الموضوع أي أننا أمام ثنائية مركز/هامش، تمثل في الفلسفة الظاهراتية الذات المركز والموضوع أو الظاهرة الهامش.

[1]– عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر،1985، ص18.

[2]– عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، م ن، ص18.

قد يكون الهامش هو الموضوع أو الظاهرة او الوجود بالنسبة للفلسفة الظاهراتية لكن الأمر معكوس بالنسبة للفلسفة الوجودية التي أقرّ بها جون بول سارتر ففيها "**الظاهرة تكون أساسا للمعرفة على نحو ما تبدو عليه ولا يمكنك أن تزيد حرفا أو تضيف خطأ إلى ما يقدمه العالم الخارجي**"[1] وهذا يعنى أن المعرفة تستقى مما هو موجود أمامك فلا يمكن أن تخدعك الظاهرة المحسوسة وما يقدمه الإنسان من تفسير أو معنى لما يراه يعتبر فعلا ثانيا على الموجود الأول لذلك تنعكس الثنائية ليصبح المركز في الفلسفة الوجودية هو الوجود.

أما الأخذ بفكرة الهامش والمركز كفكرة فلسفية فذلك موضوع شائك لما يمتازان به من جدلية وتداخل، ففلسفيا "**يلعب التمركز دورا أساسيا في تأكيد الذات وتعاليها في مقابل نظرة الالتباس والاقصاء التي تحيط بالآخر ولما كان لهذا المركز ركائز ومقومات يقوم عليها لاشك أنه قام بتأصيل تلك الركائز والمقومات لجعلها فريدة من نوعها، وفي انتسابها إليه، مطابقا بذلك ذاته ورغباته الخاصة أو مطابقا غيره ذات الآخر في حال تفوقها وملتزما بمبادئها.**[2] أي أن المركز/الهامش معادلة لفكرة الأنا/الآخر فكما أنّ الآخر لا يتشكل إلا بمنظور الذات الفردي ولا يتحدد إلا بمعايير نمطية تختزلها الذات وفقا لتجارب خاصة فإنَّ الهامش هو الآخر ما هو في حقيقة الأمر سوى مجموعة ممنوعات ترفضها الهوية المركزية فتقصيه من دائرتها وبالمقابل يسعى إلى تثبيت قيمه هو ووجوده.

وعليه "**يأخذ مفهوم المركزية بعدا أنطولوجيا يرتبط في الاساس بالذات التي تجعل من كل شيء أمامها يدخل ضمن أفقها الخاص فيصبح تابعا لها وداخلا في تشكيلها وهذا يغيب حضوره**

[1]– عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، مرجع سابق، ص180.

[2]– منير مهادي، نقد المركز وفكر الاختلاف، مقاربة في مشروع عبد الله ابراهيم، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الروافد الثقافية ناشرون، 2013، ص40

لصالح حضوره لصالح حضورها وتستنزف فاعليته لأجل زيادة فاعليتها موافقة بذلك مرحلة من مراحل نمو الطفل الذي يجعل من العالم أناه.[1] فالتمركز هو تقوقع حول معايير الأنا واثبات لها وتأكيد عليها.

2-3/ الهامش في حقل الأدب:

إنّ الأدب مهما اختلفت أجناسه وتنوعت مضامينه وأنواعه لا يمكن له أن يتجرد من الخصوصية الإنسانية فهو يعبر شئنا أم أبينا عن الانسان في علاقاته المختلفة بذاته أو بغيره أو بالعالم المحيط فلا يمكن للأديب أن يكتب من فراغ أو يتجاهل الظواهر الاجتماعية التي تحدث حوله ومهما حاول التملص فإنه في جانب ما من كتاباته لابد وأن نتلمس تلك "**العلاقة المتينة التي تجمع بين المركزية والمتخيل هذا الأخير الذي يعد من أهم المقومات والاليات الفاعلة في تشكيل صورة للأنا فـ"للمتخيل دور حاسم في تشكيل النظرة المتبادلة للآخر بكل ما يمكن لهذة الملكة الانسانية الخاصة من انتاجه من صور وأحكام وخلقه من مشاعر وأحاسيس في سياق الاحتفال بشؤون الذات والانتقاص من صور الغير**[2] فإن لم يقدم الكاتب عمدا صورا مختلفة لصراع المتخيل مع السلطة أو الهامش مع المركز في مختلف تجلياته فإنه بوصفه الكاتب المبدع يسهم بشكل ما في تقديم صورة معينة عن الآخر أو الذات وبالتالي فإنه قد يكرس لمركزية أحدهما على الآخر.

تتعدى العلاقة بين المركز والهامش الحدود الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى المجال الأدبي أين يمثل فيه الجاحظ على سبيل التمثيل لا الحصر وسيلة من وسائل المعارضة الثقافية في

---

[1]- منير مهادي، نقد المركز وفكر الاختلاف، المرجع نفسه، ص37.

[2]- محمد نور الدين أفاية، الغرب والمتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الاسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000، ص128.

مواجهة المتن التي تمت محاولة تهميشه واسكاته يمثل خطاب الجاحظ الذي يقف نموذجا لتجاوز النسق الثقافي ويوضح العلاقة بين المركز والهامش وهي علاقة ضدية في مجمل تمظهراتها ويبين العلاقة بين الثقافة المقموعة وهنا نحن في مثال الجاحظ أمام وجود خطاب يحمل نسقا مضمرا ونسقا ظاهرا وفي وضع تناقض وتناسخ[1]

فرؤية الأدب بوصفه معادلا في جانب ما للصراع بين المركز والهامش سردا وموضوعا وحتى لغة و"**النظر إلى المركزيات الكبرى في التاريخ الانساني من زاوية كونها نتاج مرويات ثقافية متناسقة يوسع المجال أمام الدراسات المخيالية التي استبعدت بتأثير من فكرة الحداثة الغربية...**"[2] ولعلها فائدة ترتجى من التأمل ودراسة السرد ثقافيا لرصد مختلف الثنائيات الثقافية كالهامش والمركز فيه.

شاع تعبير أدب الهامش /المهمشين Marginated litterature في السنوات الأخيرة شيوعا واسعا وتبعا لذلك انتشرت فكرة التهميش التي انطلقت من ديناميكية التخلي والنبذ وهي بالضرورة تختلف عن فعل التجاهل واستراتيجية العزل[3] التي قد يقيمها المجتمع عمدا على فرد أو مجموعة لتحقيق مصلحة معينة، فالصعاليك مثلا في العصر الجاهلي تم التخلي عنهم ونبذهم لخروجهم عن معايير القبيلة الظالمة بالنسبة لهم لكنهم في شعرهم قد قابلو ذلك بالرضا والقناعة دون البقاء في القبيلة بينما يتم اتخاذ اليوم فعل التجاهل واستراتجية العزل حين لا يتم نفي المهمش فهو قد

---

[1]– ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، ص224.

[2]–عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الامان الرباط ط1، 2010، ص10

[3]–سعاد لعلى، أدب الهامش نغمة للغناء وأخرى للبكاء في أدب الهامش، ندوات أدبية، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، دار علي بن زيد، للطباعة والنشر، بسكرة، ط1، 2012، ص34

يعيش في نفس المجتمع مع تجاهل هذا الأخير لسلوكياته والابتعاد عنه كحال بائعة الهوى مثلا التي لا تلقى الترحيب ويتم تجاهلها وعزلها عن الممارسات الاجتماعية المختلفة كالزواج.

ومن هنا فأدب الهامش يرصد شعور المهمش وحالته بعد معايشته لفعل التخلي والنبذ الممارس عليه من طرف أفراد المجتمع. و"**قد شهد مصطلح الهامش انتشارا كبيرا في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، ومنه انبثقت من جدلية التخلي والنبذ وهو كل أدب منبوذ ومجهول فقد تعددت جوانبه إلاَّ أنَّه يمكن ايراد عدد من التعريفات فهو في أبسط معانيه الأدب المتجاوز للمألوف المتداول لما يتناوله من مسائل معارضة.**[1] وهي السمة التي لم تكن سوى رد فعل على الاقصاء والتهميش ولما يحاول أدب الهامش الدفاع عن صوته فإنه يلامس بالضرورة خصوصيات المركز ويفضح مسار وآليات اقصاءه له وبالتالي فإنّ أدبه يقابل أيضا بالرفض وقد يتعدى الأمر إلى حرق المؤلفات وسجن الأدباء. لذلك يطلق" **مصطلح "أدب القاع" أو الواقعية القذرة على الأدب الذي يتخذ من هذه البيئات المهمشة مادة سردية له**"[2] مرادفا لمصطلح أدب الهامش.

يصبح على هذا النحو أدب الهامش دالا على "**الأدب الذي لم يحظى أدباءه باهتمام فغيب انتاجهم على الساحة النقدية والقراءات الفاعلة جزئيا أو كليا في فترة من الفترات التاريخية قديما أو حديثا وبناء على هذا حرم هؤلاء الادباء من التلقي جزئيا او كليا.**[3] وهذا يعني أنّ التهميش فعل تم ممارسته تاريخيا حتى لتبدو أحيانا ثنائية المركز/ الهامش طبيعية لا تشوبها

– [1]المرجع نفسه، ص.ن.

– [2]هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، دار النشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص207.

[3]– وردة سلطاني ، أدباء جزائريون بين الواقع الابداعي والتهميش النقدي، في ادب الهامش، ندوة، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها دار علي بن زيد للطباعة والنشر بسكرة ط1 2012، ص67.

شائبة (كحال الرجل/المرأة) ويمكن أن نشير أن الأدب لطالما كان مرتبطا بدور المتلقي لذلك فتهميش الأدب ليس فعلا أحادي القطب تمارسه السلطة فقد يكون القارئ مسؤولا عن تهميشه إما عن وعي لعدم توافق ذلك الأدب لقيمه ومبادئه وإما لقلة اطلاعه وادراكه لأهمية الكتب أو انسياقا منه وراء الخوف من السلطة.

ينطلق أدب الهامش من القاع ليكتب في العتمة مصورا حال الفئات والبيئات المعزولة وتعتبر يومياتهم واقعهم المادة اللينة التي سيخدمها هؤلاء الكتاب لصياغة نصوصهم السردية ولعل تسميته بأدب القاع أو الدوني من قبيل النظرة التي يحمها المركز إلى الهامش وهي في جانب منها تكريس لهذه المركزية ونعني بالواقعية القذرة أنَّ الفكر والأدب الذين يبحثان في قاع المجتمع ويتناولان جميع الظواهر التي يخشى الناس الكشف عنها لأسباب دينية أو أخلاقية أو حفاظا على التقاليد والموروث.

ليس أدب الهامش أو سرده نقلا حرفيا لواقع مأساوي يعيشه المهمشون ولكن "**السرد المحتفي بالهامش يراهن على الاشتغال على رؤية متصلة بالراهن المعيش وبالسياقات السياسية والثقافية التي أنتجت هذه الكتابة المرتكزة على فضح آليات الاقصاء لعناصرها الثقافية كذلك تراهن على "رؤية العالم" تحتفي بما هو مستبعد من قبل المركز في ظل سياق سياسي وثقافي متباين ومغاير عن السابق.**"[1] أي أنّ أدب الهامش رؤية عميقة تحليلية للوضع وليس مجرد نثر للمكبوتات وحصر للمعاناة إنه رؤية فلسفية توضح أسباب التهميش وآليات ممارسته من طرف المركز وهو في أغلب كتاباته يعبر عما يرفض المركز التعبير عنه كمحاولة منه لإثبات وجوده وحضوره كما هو دون الخضوع لمتطلبات المركز الثقافية والجمالية.

[1]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص27.

وعلى هذا الأساس سيعتبر أدب الهامش الأدب "**المعارض الذي يكسر المعايير الفنية ويعاكس الأيدولوجيا السائدة عرف بأدب الرفض أو أدب الضد**[1]. فعدا أنه يكسر سلطة المركز بفضحها وتعريتها من أدواتها يتمرد من الجهة الأخرى على آليات الكتابة وفنياتها باعتبار أن هذه القيم الجمالية مرسومة من طرف الهامش ومن ذلك مثلا الابقاء على اللغة الراقية واللبقة التي تقيم عليها فعل الكسر والتهشيم لتكون هذه اللغة لغة سوقية أو عامية أو فجة.

تمثل أدب الهامش بامتياز الرواية البيكارسكية عند الغرب وهي "**رواية تشتغل على البيئات المهمشة وتعنى بالفقراء والمهمشين الذين يقفون على هامش المتن الاجتماعي ليس رغبة منهم في ذلك بل اقصاء لهم من مركزية المتن واهتماماته وقد ظهر مصطلح بيكارسيكا في القرن السادس عشر وهو يشير إلى نوع من السرد تشكل في اسبانيا لأول مرة ثم انتقل بعد ذلك الى فرنسا والمانيا وانجلترا وأمريكا وقد كان مهتما بتصوير حياة البيكارو أو الشطاري المهمش لذلك تنسب هذه الرواية إلى بطلها بيكارو (الشاطر) أو المغامر.**[2]

تعتبر الرواية الشطارية الهامشية أحد الاجناس السردية التي تتخذ من المهمش موضوعا لها وقد حاولت اعلاء صوته، والذي حاول هو الآخر فرض وجوده في المجتمع عن طريق السرقة أو التسول أو الاحتيال لأنَّه يرى أنَّه يجب عليه فرض طبيعته على المجتمع لأنَّه ظالم ومستبد رغم ما يظهره من قيم وأخلاق لا تمت إلى حقيقته بصلة. وعليه تتولى الرواية البيكارسكية الحديث عن الفئات الضعيفة الفقيرة التي تعاني من الألم والتعاسة والكآبة.

[1]– منى بونعامة، المركز والهامش، أفق مجلة الخليج، 2015/08/15، ص01.

[2]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص117

يمتاز أدب الهامش بخصوصية مزدوجة تقوم على كسر ثنائي للأديولوجيا السائدة وللمعايير الفنية التي كرستها هذه الأيدولوجيا فيتجلى ذلك أدبيا على مستوى البنية السردية واللغة من جهة وعلى مستوى الموضوع من جهة ثانية. وهو ما تتبناه اليوم الرواية الجديدة التي "**لا تندرج في أفق محدد ووحيد لأنها بطبيعتها البنائية وفلسفتها وهدفها تتمرد بجزم من هذا التحديد أو التصنيف ولا يجوز أن يطلق عليها مصطلح مدرسة لأنها ضدَّ التحديد والتصنيف أولا ولاختلاف النزعات باختلاف كل أديب وباختلاف كل عمل أدبي.**[1] ولما كانت الرواية الجديدة مفارقة للرواية الحديثة معنى ومبنى فقد أطلقت عليها تسميات عديدة منها الرواية اللارواية والرواية التجريبية والرواية الطليعية.

هذه الرواية الجديدة تعبير فني عن حدة الأزمات التي تواجه الانسان وتفسير غموض الواقع كما تشعر بأنَّ الذات الإنسانية مهددة بالزوال ولذوبان في ظل تشتت القيم واهتزاز الثوابت وتشتت الذات الجماعية وحيرة الفرد هذا ما أدى إلى ظهور الرواية الجديدة التي تعطي لكل فرد حقه في التعبير عن وجوده الذاتي بتأسيس أبنية جديدة ومفارقة.

مما تجدر الإشارة إليه في هذا الجانب هو أنَّه "**إذا كان المهمش هو صورة لكل ما هو مخفي ومقصي ومضطهد فهذا يعني أنَّه لا يقتصر على الشخصيات في الأدب فحسب بل يبتعد الى عناصر أكثر دقة وأقل ظهورا والمقصود هنا تجليات الهامش في العتبات النصية من خلال الغلاف الخارجي للنص وهذا كله يدل على مركزية المدلول وهامشه وما يوحي اليه مضمون**

[1] – شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والسرد والآداب، الكويت، 2008، د.ط، ص14

الكتاب فالغلاف الخارجي مرآة عاكسة له.[1] أي أنّ الهامش في الأدب ليس محددا في البنية السردية ولا في التيمة بل يتعداهما إلى العتبات الموازية باعتبارها تمثل هامشا بالنسبة للمتن السردي. يمكن التأكيد على أنّ "**الهامش هو كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية**"[2] ليمثل كل كتابة تخرج عن نسق المألوف وتعتبر كتاباته هامشية سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو أكاديمية فهو خارج عن سلطة الدولة فأدب الهامش يأتي دائما مخالفا لما هو سائد ومعتاد فتقوم المؤسسة بقمع أفكارهم ومنعهم من تجاوز المحرمات والثوابت لذلك يبقى مستبعدا من الحياة الاجتماعية والثقافية.

لكن في جانب آخر، يتجسد "**الهامش حسب جيرار جينات في العتبات النصية ويمثل حالة نصية طباعية إحالية ومرجعية ترتبط بكلمة أو مقطع بطريقة محددة أو غير محددة، فقد يكون الاهداء الذي يكتبه الكاتب في بداية النص والذي قد يقرأه القارئ هامشا لا يؤثر كثيرا في النسق الدلالي للمتن. قد يكون الاهداء هو المدخل المهم لقراءة النص وهامش مواز للنص المركزي.**"[3] وعليه يعتبر جيرار جينات الهامش هي المعادل الموضوعي للمهمشين اجتماعيا وهذا يدل على اتساع مدلولاته. وهذا التصور يتأسس من خروج هذا الهامش عن المألوف وعدم انضباطه وخضوعه للمعايير التي وضعها المركز أو المؤسسة الراعية، فموضوع الهامش مرتبط بالمعاناة النفسية والاجتماعية، فهو مرتبط بالفقر والتسول والانعزال.. الخ

---

[1]– وردة سلطاني، أدباء جزائريون بين الواقع الابداعي والتهميش النقدي، في ادب الهامش، مرجع سابق، ص67

[2]– عبد الرحمن تبرماس وعلي دغمان، في النظرية النقدية القديمة، من الفعالية المركزية إلى الهامشية، فعل القراءة أنموذجا، ندوة أدبية في الهامش، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، ص12.

[3]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص41–42.

وبهذه الاشارات المختلفة يمكن اعتبار الهامش واجهة لفكرة التفرد والخروج عن المألوف وبالتالي هو كل ما لا يعترف بالهيمنة والنمطية والقوالب الجاهزة في المجتمع والأدب والسياسة والدين والأيديولوجيا. "**هو كل أدب لا يعترف بالقوالب الجاهزة يفرضها لو بي الثقافة في بلادنا، سواء على مستوى معالجة المواضيع الإشكاليات الراهنة التي تفرض نفسها على المبدع، او على مستوى تقنيات الكتابة الإبداعية ذاتها فيخرج المبدع على الأعراف والتقاليد السائدة في الكتابة.**

[1] ومن خلال هذه الفقرة نستنتج أنَّ الهامش هو مصطلح شامل لكل ما هو مرفوض أو قد استبعد من الساحة الرسمية، إما لتجاوزه لسلطة المركزية او تناوله مواضيع وقضايا تثير الجدل وقد تم رفضه ونبذه.

يهتم أدب الهامش كثيرا برصد حياة المنسيين والذين يعيشون في بؤس وهم المدقعون فقرا من متسولين ولصوص صغار ومتشردين وبائعين متجولين وصغار الموظفين، فيصور هذا الأدب حياتهم ومعاناتهم.[2] ولا يتوقف فقط عند السود والنساء ليهتم بكل الفئات المنسية والمهمشة والتي تثير الفوضى والشغب، أو التي لا تقدم للمجتمعات شيئا يفيدها، هذا في نظر الطبقة الحاكمة.. وينظر إليه على أنَّه أدب محلي ويتعامل معه على أنَّه في مراتب أدنى، فهو يرصد فقط المعاناة والاجرام والحرمان والفقر، لهذا لم يعرون لم أي أهمية.

[1] سعاد لعلى، أدب الهامش، نغمة للغناء وأخرى للبكاء، في أدب الهامش، ندوات أدبية يشرف عليها أ،د. عبد الرحمن تبرماسين، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، حي المجاهدين بسكرة، ط1، 2012، ص35.

[2] ينظر: ليلى جغام، وصف التجربة الشعرية للشاعر: رضا ديداني معقل أدباء الهامش في الجزائر، سلسلة ندوات أدبية يشرف عليها أ،د.عبد الرحمن تبرماسين.. ص48

لا تعتبر الكتابة الهامشية مساعدة للمهمشين فقد تكون أيضا "**تنفيسا عن المتن بحكم ضغط المتن، وقد تكون تنفيسا عنه إنَّما كما يسميها "شيرك" نوع من الانزياح المنفلت من قبضة الكتابة المركزية المؤسسية، إنَّها نوع من التمرد تمارسها الكتابة في هامشها، بعيدا عن سلطة المتن والمركز ولذا قد تكون معبرة بشكل قوي عن المسكوت عنه**"[1] فقد يكتب عن الشرطي وهو من المركز لكنه يعاني فلا يملك الحرية الكافية ومقيد بكثير من الضوابط والقوانين في تعامله مع الآخرين وحتى في تسريحة شعره فهذا المركز يعاني في مركزيته فتأتي الكتابة عنه لتكون تنفيسا لصوته.

وعموما فإنَّ "**أدب الهامش إذ يعارض أدب المركز فإن الدلالة الوظيفية لموقف المعارضة الذي يتبناه هي دلالة نقدية في جوهرها**"[2] أي أنه في جوهره حركة احتجاج ورفض ومقاومة لكل أشكال السلطة، فينتقدها كما ينتقد الناقد الأدب ليميز الرديء منه كذلك يسهم الهامش في نقده للمركز في اظهار سلبياته وتعرية جوانبه. و"**من أجل الخلاص من هامشيته وتهميشه والسعي إلى تمركزه، ثار أدب الهامش ضد خطاب المركز واستهدفته في مجازه البلاغي الجزئي بمجاز ثقافي كلي حرر النص من خلاله من ضيق الدلالة اللغوية لمضمونه ورده إلى الدلالة الثقافية في سعتها وتنوع حاملها وانفتاحها.**"[3] وهي الميزة التي تمكن أدب الهامش من تحقيقها فقد نقل الأدب من حدود البنية والسرد إلى حدود أوسع هي الثقافة وتجلياتها في النص الأدبي مما فتح الآفاق أمام الدراسات الثقافية وما بعد الحداثية.

---

[1]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص40.

[2]– سهيلة ميمون، المجاز كموضوع للنقد في أدب الهامش، جسور المعرفة، مج 6، ع1، مارس2020، ص70.

[3]– المرجع نفسه، ص74.

الفصل الثاني

عرفت الأمة العربية اقبالا كبيرا في مجال الشعر، لكن مع تنامي الحاجة الى وسيلة أكثر اطنابا للتعبير، ظهرت الرواية كفن يلبي حاجة الكاتب إلى الاسهاب في التعبير عن حياة مجتمعه وتحولاته، لذلك استطاعت الرواية العربية عموما والمغربية خصوصا أن تفك الحصار عن موضوعات كثيرة وتصرح للأمة عن الجانب الخفي من حياة شعوبها، والتسلل الى الموضوعات المسكوت عنها فأعلنت التمرد على الاوضاع السائدة ورفعت الستار عن الانتهاكات السياسية الممارسة، وهذا ما جعل العديد من الروائيين المغاربة يتميزون عن غيرهم ومنهم الروائي "محمد بنميلود" الذي استطاع الكشف عن الطابوهات السائدة والهامشية في المجتمع المغربي.

1/ أشكال المسكوت عنه في الرواية:

1-1/ المسكوت عنه سياسيا:

يعبر بنميلود في وصفه السردي على لسان مراد عن روح الاستعلاء والرغبة في التملك والتمركز حول الذات وفرض قوانين إجبارية على سكان الحي يمارسه المركز، حيث يقول السارد :"**كانوا يعيشون قانونهم داخل الحي وأعرافهم وتقاليدهم القديمة تلك نفسها ناظرين عبرها ومن خلالها إلى الدولة وكل العالم معتبرين أخبار المذياع خبرها معتبرين أن الدولة ليست سوى قبيلة كبيرة والملك شيخها إلاَّ أنَّه مقدس اكثر من شيخ قبيلة صغيرة بل تقارب قداسته وهيبته واستحالة رؤيته بالعين المجردة**"[1] فالملك المقدس في الحي الخطير يحتل مقام الإله الجليل والقادر والأقوى وأهل الحي أدنى مرتبة وقيمة منه.

يبين هذا القول ثنائية تقوم على السلطة (المركز) والشعب البسيط (الهامش)، والتمركز الذي تمارسه السلطة على أفراد الحي الخطير هو ما يخلق استعلاءهم ونظرتهم الدونية إلى الشعب،

[1] – محمد بنميلود، الحي الخطير، دار الساقي، بيروت، ط1، 2017، ص 133.

فالتفوق المركزي يقوم على عزل إمكانيات الهامش بتسلط الملك ونظرته الأنانية المفضلة للسلطة على الشعب والاستقرار العام على العدالة الاجتماعية والمساواة الذي لولاه لما تم اقصاء عامة الناس وتدنى مستواهم في الأنّ نفسه.

بقدر ما ابتعد النظام عن العدالة والقانون والايمان بالحرية الفردية وانفتح على المفاسد والمظالم بقدر ما غاب أكثر عن الالتزام والابداع والتطور، بيدَّ أنَّ للمفسدين والخارجين عن القانون قد يكونون في حدِّ ذاتهم المركز فسلطة القانون تمارس على من يرضخ لها ولا حيلة له في التمرد عليه فتنتقل سلطة المركز الى دائرة الهامش يقول السارد: "**يكون هذا مصير من يتحدى السلطة والقايد والمقدم ويكون هدم ذلك البيت أمام الجميع درسا قاسيا لمن قد تسول له نفسه فعلى شيء مشابه لكن سلطة المقدم هذه وجبروته لم تكن لتمارس على الجميع بل تكتفي تطبيق الفقراء ممن لا يملكون قوة ولا حيلة ولا ابناء عاقين عاضين في حلمة الثدي فهذا القانون الذي يديره المقدم بحرفية وسلامه وكفاءه كبيرة لا ينسحب مثلا على عائلتي صحراوة التي يقصرها الجميع ويتجنبونها بمنفيهم القايد القائد بنفسه بل إن عائلة صحراوة التي هي كانت تفرض قانونها على القايد وعلى المقدم**"[1] لذلك كلما استحكمت الاطراف القوية الفاسدة خاصة في مجتمع يعيش أزمة فقر وأخلاق خطيرة واستولت على سلطة المركز بممارسه القوة على الضعفاء والسيطرة عليهم لتحقيق الارباح والاستثمار وليس تحقيق العدالة الاجتماعية فهذا يعود بضرر على الفرد والمجتمع وعلى مستقبلهم

إنّ الاغلبية الساحقة في الحي الخطير لا يملكون وعيا كافيا فهم يمجدون ويقدسون الاشخاص خاصة الذين يمثلون السلطة. وتدفعهم إلى ذلك مجموعة من المشاعر كالرغبة والطمع والجشع من أجل المساعدة في الارتقاء بوضعهم لهذا واكثر منه لهذا "**كان رجال حي وجزاعته متوجسين**

[1] – الرواية، ص115.

دائما من العروسي المقدم يحبونه ويوقرونه ويحترمونه احترام مشوبا بالذل والمهانة، فلا يجرؤون أبدا على النميمة في ظهره لأنَّهم يعرفون أنَّ الكلام سيصل إليه لا محالة كما أنَّهم كانوا محتاجين إليه والى قدراته الخارقة باستمرار فكل من ألقت الشرطة القبض على أحد ابنائه يقصد العروس أو أول من يقصد يستنجده ويستغيث به مقدمه للهدايا وورقة مالية من فئة 50 درهما خضراء اللون أو اكثر حسب الجنحة"[1] والظاهر أنَّ سكان الهامش أهل الحي في مقابل هذا الاستغلال من طرف المقدم لضعفاء يتمكن من التسلل الى الحكم عليهم بقوته الناقمة ويفضل رؤية الذل والمهانة في عيون أهل الحي مستعينا بالقيام بأشغاله بالنشاط الفردي متسللا بين ثنايا القوانين الصارمة ليتأقلم مع الظروف ويحمل معه لمسة مغايرة تفرض نفسها على الانسان الدوني البسيط المهمش وبإصراره يؤسس لنفسه مكانه مرموقة في المركز.

لم يكن للمثقفين المغربيين دورا في تحويل حال الفساد وهذا ما أوضحه مراد من خلال قراءة رسائل خاله التي شاهدت السلطة صورته لأنَّه كان معارضا للدولة الفاسدة ويقول "**لم أجد في الرسائل والمسودات ما يدل على أنَّ خالي كان شخصا شريرا أو مجرما بل على العكس من ذلك كان شخصا حليما رومانسيا إلى حد منشغلا بكلمة شعب التي لم افهمها جيدا في البداية ولا في النهاية اكثر من الانشغال بنفسه مضحيا بروحه كما كان يسمى ذلك لأجل ذلك الشعب**"[2] فذهبت انشغالاته واهتماماته لحماية الشعب والتضحية بروحه من اجلهم في مهب الريح لأنّ السلطة تعمل على تدمير الانسان المثقف عن طريق تهميشه الفعلي والرمزي، وتجعل من المثقف المغربي سوءا فاسدا يجب تحطيمه وقتله أو نفيه وهكذا تسمح لها الفرصة في تحكم على الأمور، ويعود مقت السلطة المثقف إلى كونه سبيلا لتوعية المجتمع ووسيلة لتثويره وقلبه على النظام.

[1] – الرواية، ص108.

[2] – الرواية، ص16.

تمارس السلطة نوعا من الانغلاق والفساد والدكتاتورية التي صارت جزءا من هويتها فقامت "**بوضع المقدم الذي كان من سكان الحي هو ايضا وقد اختارته السلطات لمهنة المقدم تلك بعناية لما أبانه من مهارات كبيرة في تشمم الأخبار بأنفه واصغائه الخارق للعادة لكل صوت أو مهمه تصدر أو لا تصدر من مكان وذاكرته القوية التي تحفظ كل التواريخ وارقام ابواب الاكواخ حتى حيث تكون مسحوبة واسماء السكان وملامحهم وقبائلهم الاحياء منهم والاموات وتطوعهم وتطوعه الدائم المجاني لخدمة السلطة والشرطة حين تقتحم الحي بسيارتها البيضاء الكبيرة المخططة من فوق ومن تحت بواجهاتها بالأخضر والاحمر كالمرأة الراشمة**"[1] يمثل المقدم في هذا الجانب الهامش المسخر لخدمة المركز وعوض أن يكون وسيطا بين الحاكم والمواطن الذي ينظم العلاقة بين أهل الحي والسلطة صار يعمل فقط لصالح السلطة الظالمة والدكتاتورية وغالبا ما تصطدم رغبته برغبه الشعب لذلك يعيش حاله عدائيه مع ابناء حيه لخدمه المركز .

ولأسباب سياسية واجتماعية تتعلق ببنية النظام غابت عن أهل الحي عده قضايا بسبب عمالة المقدم ووجود علاقة لا تقوم على الثقة والاحترام والتعاون كما هو المفروض ان تكون عليه. فتحضر نوع من العلاقات بينهما لا يسمح بالهدوء فالعلاقات قائمه على الخوف والترهيب والنفاق والخداع والطمع فيجد المواطن المغربي نفسه في عزلة تامة عن السلطة وعن اهتماماتها بدوائرها والمقربين اليها.

يحاصر الفقر أبناء الطبقات الدونية مهما بلغوا مستوى عالٍ من الثقافة ويستغلهم اصحاب النفوذ والمال فتصير امكاناتهم المعرفية في خدمة الفساد عوضا أن تكون في مواجهته المفسدون بجهلهم وبمالهم يسيطرون على زمام الامور في حياتي كل فرض ضعيف وفقير في المجتمع المغربي.

[1] – الرواية، ص97.

وعليه، استنتج مراد أنَّ عليه الحصول على المال في نظره هو السبيل الوحيد لكي يجتمع في طاوله مع الاغنياء ويكون له شأن في السلطة فلا يهمه أي شيء سوى جمع المال بأي طريقة ممكنة لذا يقول:" **لا أعرف نظاما ولا قانونا ولا دولا وحكاما ولا وزراء ولا أحزابا ولا أساتذة ولا فقهاء ولا قساوسة كل ما اعرفه هو مالي فوق الطاولة مقابل كل ما فقدت ومقابل ما أنا مستعد لفقدانه. مالي الذي لن أتسوله بل سأصل اليه بالقوة حتى آخر خفقه في قلبي أو أصل الى حيث وصل رشيد وعبد الرحمن في العالم الآخر**[1] حاول مراد البطل الذي يتميز عن كثير من شباب الفئة الكادحة بحبه الشديد للأموال ورغبته الحصول على السلطة دون الانخراط الظاهري مع المجتمع في فساده السياسي فرغبته في الوصول الى المال لا تعني قبوله الانخراط في السياسة والخضوع للسلطة ففلسفته تقوم على التمرد على القانون لأنَّه من إنتاجها.

هذا النمط من الإطارات المنحرفة والفاسدة أراد بنمليود من خلال إيرادها كشخوص سردية توضيحها أكثر لنا من خلال مشهد سردي هو دخول المقدم إلى الحي أين بدأ أهل الحي يحومون حوله ليخبرهم أنَّ موعدهم معه بعد صلاة العصر قائلا :"**كنت في الصباح فقط عند القايد وقد أخبرني بأمور مستعجلة وخطيرة لأعلمكم بها دوما أنا كما تعلمون الا رسول مبين لقد اكتشفت الدولة عصابة من الملحدين السياسيين الملحدين الذين لا يصومون رمضان يسعون إلى تخريب البلاد والعباد ويوزعون منشورات مقرصنة ضد جلالة الملك نصره الله ومقبرهم في الدار البيضاء لكن لهم فروعا في كل مكان وفي كل جائحة سوداء ولهم فرع في حينا**"[2] فهدف السلطة حسب مراد هو حماية الفساد والدفاع عن الفاسدين في تلك المواقع، ثم تخرج الى الشوارع وفي أوساط المجتمع لتمارس مهامها المعتادة وتدافع عنهم وتحميهم كما هو موجه في خطاب المقدم، هكذا يكون الدفاع

[1] – الرواية، ص183.

[2] – الرواية، ص119.

عن الفساد وحمايه المفسدين جزءا من مهام السلطة والانشغال لصالحهم ومحاربه كل من يعرقل رغبتهم في الهيمنة وحماية طوائفهم التي اوكلت لهم خوفا من اكتشافه.

هكذا اعتبر "محمد بنميلود" التاريخ السياسي قالبا مزورا بحيث لا توجد حقيقة فعلية. يمثل هذا العمل الروائي التفاتة سردية إلى حقيقة علاقة السلطة بنظام القوى وتوزيعها في المجتمع لتسلط الضوء على تمظهرات كثيرة للتسلط السياسي الذي قضى على احلام الشعب وطموحاته.

1-2/ المضمر الاجتماعي في الرواية:

يستخدم العديد من علماء الاجتماع نظاما طبقيا حيث يقسمون المجتمع الى عدة طبقات اجتماعية واقتصادية منها الطبقة الأرستقراطية العليا التي تتمتع بالأحقية في المجتمع حيث يختلفون كثيرا عن الاخرين بدءا من واجباتهم المفضلة وصولا الى الأسلوب المتبع في تدريب أطفالهم في مدارس خصوصية راقية "فالطبقة تشير الى المقولات المعتمدة على المصادر الاقتصادية للمجموعات المختلفة من الناس في مجتمع بعينه والى التنظيمات الثقافية والاجتماعية التي تنبثق من هذا التقسيم أي ان لتقسيمات الطبقة الاقتصادية نتائج ثقافية فأعضاء طبقات بعينها تميل على ان يكون لها مستويات تعليمية ومناصب وأساليب حياة وقيم وحساسية جمالية متشابهة ويختلفون من هذه الجوانب عن أعضاء من شرائح اجتماعية اقتصادية أخرى"[1] وبالمقابل نجد الطبقة الدونية التي يمثلها اشخاص يعيشون من اجل لقمة العيش يحتاجون ان يتأهلوا اجتماعيا ان ارادوا ان يحتلوا موقعا اجتماعيا مرموقا يؤهلهم الى الطبقة الوسطى لا البورجوازية.

[1] – آرثر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئاسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويسي، ط1، 2003، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص88-89.

تعيش الطبقات الدونية اجتماعيا في المغرب حياة صعبة حيث اجتمعت عليها ظروف تاريخية وأخرى واقعية وجغرافية، ساهمت في سلبها وسائل العيش الذي يحفظ بقاءها الى جانب ضياع فرصة بناء حاضر مشرق والتخطيط لمستقبل في ظل الصراعات الاديولوجية والسياسية. فرواية "الحي الخطير" للروائي المغربي "محمد بنميلود" تحيلنا إلى واقع مزر يعيشه الانسان المغربي بعد أن استولت السلطة على سبل السياسة والحكم وتعاملت مع المواطن المغربي كمن يتعامل مع مشكلة تؤرق كاهله. يقول مراد: "**وجدت تلك الكتب والأوراق لا تتحدث في حقيقة الأمر إلاَّ عن ذلك، لكن بشكل غامض ومضبب. كانت تتكلم باستمرار عن الفقراء والأغنياء عن الفوارق الاجتماعية الطبقية وعن العمال والشعب والظلم الاجتماعي والثورة، لم أكن قبلها أعرف بالضبط ماذا تعني كلمة فقراء ولا كلمة أغنياء، كنت أتصور أنَّ الأمر مجرد قسمة ونصيب وأنَّ الله المسؤول الوحيد عن ذلك بناء على حكمة ما غير ظاهرة للعيان وأنَّ الفقير كالغنى مجرد اختبار للعبد**[1] تشير هذا القول إلى تأثر الروائي بالفكر الماركسي وشعاراتها ومن ذلك أنَّ الفقر ليس سوى تقسيم غير عادل للثروات مارسه الرجل الأقوى على الرجل الأضعف منه، ولا دخل له بالمشيئة الإلهية بقدر ما هو متصل بفساد السلطة وبغياب الوعي عن الشعوب التي تكرس لبقاء الوضع المتدني للمجتمع.

عندما يفسد حب الناس للحياة طبائعهم وسلوكهم وتغيب الشفافية والوضوح ويضمر الإحساس بالآخر، وتنزع الأقنعة من وجوه الناس، فإنهم سيخرجون من دائرة القانون والعرف والالتزام إلى دائرة السرقة والإجرام ويسلكون المسالك الملتوية ويلتفون على القوانين وأملاك الناس وذلك باعتبارهم من القادة والساسة ذوي الجبروت وهي الحال التي تنطبق على القايد حيث يقول السارد: "**ينزل القايد أولا ويتبعه مساعده الذي يسوق بينما يهرول في اتجاههما المقدم ليقف خلفهما،**

[1] – الرواية، ص16.

يعطي القايد بوقفته المستقيمة وهندامه المدني الأنيق جدا المكون دائما من طقم حديد بلون مختلف حسب الأيام والفصول بضعة أوامر بيده هنا وهناك فبعد أن يعاين البيت جيّدا بنفسه والرجل صاحب الروجستر يقيد ما يسمعه من القايد إلى سيارته رفقة مساعده، تنطلق السيارة بهما والمقدم يتبعها رفقة صاحب الروجستر لينحنيا لها مما يعين على هيئة الركوع الخاشع في الصلاة ورأسيهما ينعكسان مشوهين على زجاجها ومعدنها الصقيل البراق "[1]. يحملنا هذا المشهد إلى استنتاج دلالات اجتماعية مضمرة ومن ذلك:

- التعبير عن استغلال السلطة في تحقيق مطامع ذاتية وهو ما يظهر في تغيي القايد لملابسه حسب الفصول.
- التعبير عن توزيع غير متساو في القوى والسلطة في المركز نفسه وهو ما يظهره تصدر القايد المقدمة ثم يليه المقدم.
- التقديس المبالغ فيه لأصحاب السلطة إلى درجة التأليه وهو ما يتجسد من خلال ركوع المقدم وصاحب الروجستر.

تتوالى سلسلة الفساد وراء بعضها البعض لأنّها حلقة تواصلية كما وصفها "بنمليود" فالقائد يتبعه مساعده ثم يتبع المقدم وهكذا، ويركعون للقايد كما يركعون في الصلاة للخالق.

لقد لفت السارد الانتباه إلى ارتباط الانحراف بتسيير الشأن العام والقيام على مصالح المجتمع وانغماسه في جلِّ الانحرافات غير القانونية الناتجة من اندفاع المقدم إلى فرض مصالح متبادلة فتصبح الرشوة بكل أشكالها هي الوسيط بين القايد وصاحب البيت، وهذا ما يفرض وجود إزاحة للطاقات الصالحة واستبدالها بمصالح خلفية مركزها الوحيد هو كسب المال.

[1] – الرواية، ص112.

ينطلق الاتحاد كسلوك من خلفية انسانية، وتتغذى هذه الخلفية من عناصر جغرافية وأخرى عرقية غير أنَّها في بعض الأحيان تكون ذاتها عوامل تشتت وتنصب في تكريس الانفصالية بين أهل الحي، وهذا ما أحسّ به مراد بمعايشته للواقع المعيشة والفرق بين السكان الذين يسكنون القصور وبين الفقراء والحثالة، حيث يقول:" **فهما مباشرة أنّ سكان القصور وحي السويسي وحي الرياض وبير قاسم الأذكياء والنبلاء، ونحن الفقراء والأغنياء الحثالة، وأنَّ القوانين والأعراف والأخلاق هي السور الحديدي المنيع الذي يفصل بين هؤلاء وأولئك فكلّما ليست هدفا حفظ الأمن وإشاعة العدالة والفضيلة كما يدعون بقدر ما هدفها الوحيد هو حماية الأغنياء الأسياد من الفقراء المعدمين**" [1]

ومن كل هذه الفوارق الطبقية وكل تلك القوانين الصارمة التي تفرض على أهل الحي والتي تعمل على إبعادهم عن خدمة بلدهم تجعل من الإنسان المغربي يشعر بالإقصاء والدونية التي تمّ استحضارها من طرف السلطة الغالبة، وهذا ما أبقى ذلك الإحساس السلبي في داخلهم.

2/ سلطة المؤسسات الأمنية:

تتدخل الشرطة بين حين لآخر لكي تقبض على أهل الحي وذلك لأهداف سياسية خفية وليس لرغبتها في تنظيف الحي من المجرمين والفاسدين، وتقوم بفرض عقوبات صارمة على ساكنيها. وهذه الرؤية عبّر عنها مراد عندما تم القبض عليه من طرف الشرطة واعتدت عليه لمجرد أن شُبِه بواحد من المعارضين للنظام قائلا: "**اعتقلتني الشرطة بعد أن حاولت الهروب كان في جيبي قطعة حشيش صغيره وداخله حزام سكين، حكموا عليَّ بستة أشهر سجنا نافذة دون تهمة واضحة. اتهموني ببيع الحشيش لكنِّي أنكرت ذلك، تلقيت بعض الصفعات من**

[1] – الرواية، ص20.

شرطين أثناء التحقيق لكني لم أعترف بشيء. كانت تلك هي عادة الشرطة كلما اقتحمت حيَّنا. كل من لم تجد له تهمة مباشرة تثبتها ضده تحكم عليه بسبعة أشهر سجنا بقشيشا لحيازته سلاحا أبيضا أو قطعة حشيش أو جلبه قرقوبي مهلوسة أو حتى إن لم تجد في جيبه شيئا."[1]

الملاحظ أنّ السلطة اتجهت إلى فرض السيطرة على طبقات الهامش في المجتمع باستخدام أدواتها القمعية كالشرطة ولعل مَرَدُ ذلك هو إيمان السياسة واعتقادها أنّ الثورة لا يمكن لها أن تتبع إلاّ من الهامش يسيرها الفقراء والمنبوذون كردِّ فعل على تسلط وظلم الحكام وبالتالي التحكم في أيِّ حراك سياسي من كل جوانبه الفردي والاجتماعي والتنظيمي وذلك من أجل عدم خروج الحي عن السيطرة الثابتة المرسومة له من طرف السلطة.

يعد السارد "مراد" مؤسسة الشرطة في المغرب من بين المؤسسات التي تمارس الفساد في حق الشعب وهذا نموذج من ذلك " **لقد لفقوا لي تهمة قتل خنفاش، شهورا بعد موته وتحوله إلى شبح وحكموا عليَّ بالسجن ستة عشر عاما، وهم لم يظلموني في كل الأحوال، لكن أيضا لم ولن يكونوا أبدا عادلين فقد قتلوا اقبال وغم أنّه لم يقتل أحدا وقتلوا عبد الرحمان ورشيد، وقتلوا الهواء والماء، قتلوا الجميع** "[2]

يفترض أن تسهم هذه المؤسسة في إعطاء فرصة للفقراء للخروج من أوضاعهم المزرية وإنقاذ أهلهم، والخروج بهم إلى بر الأمان، وإعادة صياغة التوازن المادي لهذه الفئة الضعيفة المهمشة، لكن الشرطة منغمسة في الفساد داخل المجتمع، ووقوع الكثير من الناس في الفقر والغفل، وهذا ما أفسد نظرة مراد تجاه هذه الفئة التي خدمت السلطة ولم تخدم الشعب فقد قتلوا كل ما يستدعي

[1] – الرواية، ص36.

[2] – الرواية، ص41.

ضرورة العيش حتى الهواء الذي تغيّر لونه بالفساد والإجرام حتى تغيّر لونه من البياض إلى الأسود القاتم.

صورت الرواية أيضا مؤسسة أمنية عقابية هي السجن والتي تعتبر أداة من أدوات السلطات لاستبعاد الناس "وكون الفرد مستبعدا لا يعني أنَّه مستبعد من الخارج كما هو السجين أو العبد بل يعني أن قوة ذاتية أكثر تسلطا تعرض نفسها في مركز البرنامج ذاتي المركز وتخضع تماما الفرد الذي يجد نفسه حينئذ مهووسا من الداخل"[1] تعرف نفسية مراد سارد الرواية تراكمات نفسية داخلية تواجه الفرد المغربي وهذا ما يجعله مهووسا بالتمرد.

وأمام تمركز السلطة وتهميشها لبنيات الهامش يعيش المثقف الذي يعارض السلطة بوصفه عنصرا من هذه البنيات صراعا مريرا مع ذاته ومع المجتمع والسياسة الظالمة، أكثر من المواطن البسيط الذي لا يع شيئا في هذه الحياة وهذا ما استدعى "مراد" أن يطرح العديد من التساؤلات التي لم يقدر أن يجد لها جوابا حيث يقول: "**لم أفهم حينها هل كان خالي يعي حقا ما يفعله وما يكتب وما هو ذاهب اليه هل كان يعي حقا أنَّه كان يتقدم بخطوات ثابته نحو نهاية حالية متسرعة ومجانية لوجوده؟ ما الذي كان يدفعه بقوه الى ذلك؟ هو الذي عاش حياة مختلفة عن أمه وعنا في الدار البيضاء في بيت امرأة عاقر ربته انفقت على دراسته وأصرت عليه حتى وصل الى الجامعة وتفوق فيها لماذا لم يحترم أن يصير مهندسا كما أرادت له تلك الأم العاقر التي كانت تضع نظارات طبية كما قالت عنها أمي وتقرأ الكتب وتتحدث الفرنسية أيضا وتفهم في السياسة تلك؟ لماذا عوض أن يختار مهندسا كما أرادت له اختار أن يصير جثة هامدة؟ هل كانت جاذبية الموت في داخله أقوى من جاذبية الهندسة هل كان حقا لتلك الكلمات وطن،**

[1] – إدغار موران، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، تر: هناء صبحي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط1، أبو ظبي، 2009.

شعب، نضال، فداء، ثورة، معنى ساحر ومستحوذ ومميت لم أستطيع أنا فهمه قط ولا أصدقه حتى اليوم."[1] لم يجد مراد لأسئلته جوابا على ما أصاب خاله المثقف الواعي في مجتمعه وما يعانيه وأسباب تلك المعاناة رغم أنَّ لديه فرصة أن يكون مهندسا كما أرادت له تلك الأم المعلمة، لكنَّه شق طريق المثقف الذي يحمل في قلبه هاجسا متعبا يهتم بمصارعة الفساد الاجتماعي والسياسي ومحاولة القضاء عليهما منطلقا من إيمان المثقف بالتغيير وبدوره في ذلك هذا الإيمان الذي يمثّل مكونا راسخا في النخبة يكون دافعا كافيا لاختيار الفناء والذود عن أفكاره.

وهذا الخلل في النظام السياسي والاجتماعي الذي كرس لمظاهر الظلم والحرمان ورسخ لمواطن الفساد وأشكاله، جعل الروائي يقرر أن يفرغ ما في جعبته بخطوته الجريئة للكشف عن المسكوت عنه ورفع الستائر عن خبايا هذه المؤسسة التي من المفروض وجدت لحماية حقوقهم، لكنّها محكومة بالفشل وخدمة مصالحها الشخصية وحماية السلطة فقط.

اجتهد الروائي من أجل إعطاء صورة حقيقة قاتمة للواقع المغربي تكون حالا ينتمي إليها الإنسان المغربي المهمش والمحروم، وتكون مركباتها وتفاصيلها أسبابا موضوعية للنتائج المأمولة التي يجد هذا الإنسان نفسه فيها " **فالكثيرون استطاعوا العيش داخل ذلك الحي مثلما عشت، لم ينته بهم المطاف بالضرورة إلى هذا الحبس، بل بعضهم أصبح مهندسا أو طبيبا أو شرطيا أو حتى وزيرا لقد غادروا الحي دون أن يصبحوا أعضاء في عصابة صحراوة أو عصابة براريك القرعة أو عصابة الشعبة أو حشاشين ومنحرفين، عكس ذلك أصبحوا أعضاء في عصابة الدولة** "[2] والعودة إلى التاريخ والاستنجاد به والعيش في أيامه بانتصاراته وإنجازاته ملاذ ومهرب

[1] – الرواية، ص17.

[2] الرواية، ص182.

للفاشلين فالجدير بهم حسب مراد هو السعي ليكون لهم نصيب في عصابة أو في دولة بما لا يفرق بينهما، لكن وغم ذلك وصلوا إلى ذلك المذهب أمثال عصابة صحراوة وبراريك.

فوجود الإنسان المهمش والمقصي في وطن يسير تحت لواء اليأس لا يعطي فرصة للإنسان أن يحلم وأن يبني وعيا ممكنا، أن يجسد صورة أخرى لذاته ولعالمه، وأن يرسم خطوط الأهداف والمشاريع. وهذا ما دفع بمراد إلى بلورة فكرة الهروب ليفتح عينيه وذهنه على عوالم مستقبلية يحيل وعيه إلى ما يمكن أن يتحقق من وراء تجسيدها، ويعطي الأمل في الوصول إلى أهدافه بعد أن يحسن تخطيطها كل ذلك بفضل النماذج التي يراها الإنسان أمامه ناجحة حققت أحلامها ونجاحاتها.

في الحي الخطير وفي كل صباح يقابلك الظلم والفقر والحرمان يعبر بوضوح عن الرغبة أفراده في رفض الواقع المرير بطريقة تتناسب مع ما يؤمن به هذا المجتمع الظالم فقد حلم مراد وأصحابه بتغير الأوضاع المزرية إلى ما هو أحسن مما هو عليه، لكنَّ الضغط الاجتماعي والسياسي الممارس عليهم لم يسمح لهم بذلك، وعليه تقرر السلطة على أن تبعث لهم إلى مكانا بعيد حيث لا يمكن لهم العودة " **لقد مات عبد الرحمان، ومات رشيد أو بالأحرى قتلا، وخسرنا مالنا دون أن نجني مالا، ولم نعبر الشارع الفاضل بين جحيم الحثالة وبين جنّة النبلاء** "[1]

ومن هنا لم يبلغ مراد ورشيد وعبد الرحمان المبتغى الذي أرادوه، حيث وهل كل من رشيد وعبد الرحمان إلى القتل ومراد إلى السجن ولم يبلغ الخط الفاصل بين جحيم الحثالة المتمثل في الحي وجنّة النبلاء وهي السلطة وهذا الشقاء والألم والظلم يتجاوزه مراد وهو في السجن بما يحمله من

[1] الرواية، ص43.

طاقة الأمل يتخطى به ألم اللحظة إلى لذة المستقبل المنتظر، ويتخلص من ضيق الواقع المرِّ لكن دون جدوى.

إنّ الهروب سلوك بشري طبيعي مثله مثل الاستقرار يسكن وعي الإنسان المهمش، يلجأ إليه الإنسان إذا فرضت على نفسه شروط معيّنة تولّد لديه الدافع للهروب، وذلك من أجل تحقيق هدفه وهذا ما لجا غليه مراد وهو داخل السجن وانحصاره على فكرة الهروب التي تبقى برغم عدم مشروعيتها موقفا إيجابيا بالنسبة له، واستسلم لقدر صنعه آخرون، ولهذا انفجر الصمت" **أنا أيضا سأهرب بطريقتين، إما أن أصير فردا في عصابة الدولة، وإما أن تصير الدولة وكل دول العالم أعدائي، إما أن تمنحني الدولة الشرف، شرف متعاون ولص مرخّص له يأخذ أتعابه كل شهر أو كلّ يوم أو مرّة في العمر، وإما فأنا الذي سأمنح للدولة شرف عداوتي حتى النهاية** "[1]

ففكرة الهروب جعلت السارد يضطرب بين طريقين يجب أن يسلك أحدهما إمَّا أن يكون مستعدا للعيش حرا داخل عصابة الدولة، أو ان يعيش مكافحا ومناضلا من اجل كشف خبايا الدولة ويكون كالشوك فب طريقهم ويفسد عليهم كل خططهم الجهنمية.

بعبارة أخرى يلقي بنا بنمليود إلى قاع المجتمع المغربي بعبارته: " **إنّها الحرب، كل يوم جديد في حياتك هو يوم حرب، ومن يضعف أثناء الحرب أو يشفق على ضحيته يصبح في لمح البصر هو الضحية، لا شفقة في الحرب ولا أخلاق، من يدخل الحرب عليه أن يتحمل مسؤولية احتراقه بنارها** "[2] في وطن يكره أبناءه ويدفعهم إلى كرهه حرمهم من أبسط الحقوق ودفعهم إلى سلوك المسالك غير المرغوب بها وغير السوية للحصول على حقوقهم وضاقت بهم الحال فدفعتهم إلى

[1] الرواية، ص183.

[2] الرواية، ص302.

الحرب من ظلمه كل ما يضرهم ويضر وطنهم وأنفسهم، ضيق الوطن، وظلم الساسة والعجز والحرمان الذي يحاصر أهل الحي ويجعل منهم كائنات مقيّدة لا ترى في مجتمع ظالم سوى مخرجا واحدا وهو كل يوم يستيقظ فيه فهو يوم حرب، تجدهم كلهم مستعدين بخناجر حادة يبحثون عن أقدارهم وذلك بامتلاك قوة لكي تفرض البقاء.

3/ الدين والصراع الاجتماعي:

يشكل الدين في المجتمع المغربي قضية محورية للمجتمع ويعبر عن رؤية معيّنة، ويقوم الخطاب الديني في جوهره لينقل أسس الدين المتوازن للأجيال لكن من حيث الشكل فقط، أما إذا أردنا أن نتعرف على الدين في أي مجتمع يجب معرفة الحالة الواقعية للإنسان، فالواقع المغربي كما صوره الروائي يضم حالات متباينة تختلف من حالة إلى أخرى، وهذا ما وضّحه من خلال قوله هذا: "**ذات مرة دفع إمام المسجد جدار كوخه طيل الليل في اتجاه باحة كوخ الفاطمي في الصباح بدا واضحا أن كوخ الإمام قد سطا على كوخ بائع جافيل مسافة متر على الأقل، أخذ بائع جافيل بالصراخ والاستغاثة بالجماعة:**

- **اللهم إنّ هذا لمنكر... اللهم إنّ هذا منكر...**

تجوق الناس والأطفال فعقدت الجماعة اجتماعا مستعجلا قبل صلاة الظهر، بحثوا في النازلة من كلّ جوانبها المرئية وغير المرئية سألوا الجيران واستعملوا حبلا لقياس مسافة كل كوخ على حدة ومقارنة مساحته بمساحة الكوخ الآخر، أعلن الوجهاء بصوت مرتفع وكان حاجا، أن إعلأنّ الحكم يكون في المسجد مباشرة بعد صلاة الظهر(...) بعد صلاة الظهر قالت الجماعة على لسان الحاج مغيث، بينما ظل الإمام صامتا على غير العادة، حانيا رأسه داخل تجويف

المحراب قبالة المصلين كعريس قالت على لسان الحاج مغيث: إنّ الظالم هو بائع جافيل والمظلوم هو الإمام "[1]

ومن خلال هذا التصور والخلاف الذي حدث بين الإمام وبائع جافيل والحكم الظالم الذي خرج به الحاج مغيث لصالح الإمام نجد أنَّ في المغرب قيما دينية متداولة وقيما أخرى تتناقض جذريا مع الدين لصالح مظاهر الفساد وتخدم بالضرورة مصالح السلطة.

4/ الهامش واللغة الاجتماعية:

تمثل اللغة العامل الأساسي للعمل الروائي ولعلَّها أهم عنصر في تحديد انتماء أدب معين وتمارس اللغة وظيفة تواصلية لكنَّها تسهم في خلق خطاب يتجاوز حدود هذه الوظيفة. وتقترن اللغة بعناصر أخرى تحدد مكانتها ومن ذلك السلطة وقد تصبح وفقا بوجودها مركزية أو هامشية تؤيد المركز أو تحاول تقويضه.

وهناك وفقا لهذا لغات تنتمي إلى المركز كلغة الخطاب الديني أو السياسي ولغة تنتمي إلى الهامش كاللغة السوقية ولغة التداول اليومي فاللغة.... عير أنّ اللغة مهما اختلفت بين الأقوام "تسعى دائما إلى التعبير عن العقل بالمماثلة مع ما هو فيزيائي فنحن نتحدث عن الإنسان باعتباره منكرا واضحا"[2]

[1]– الرواية، ص137– 136.

[2] – ولترستين تاريخ الفلسفة الإنسانية تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1974، دط، ص20.

إنَّ اللغة الخاصة التي ظهرت عبر الأُنْسة هي في قلب كل ثقافة ومجتمع بشري وتمتاز لغات جميع الثقافات حتى الأكثر قدما منها بالبنية نفسها.[1] اللغة الأداة الرئيسية في التشكيل الفني للرواية المعبرة عن هويتها وثقافاتها لدى الكاتب والمجتمع وهي تعكس شخصية المؤلف فالرواية ظاهرة لغوية قبل كل شيء تمتاز بالتعدد اللغوي وهي مرتبطة بالواقع الاجتماعي ومجموعة السياقات الداخلية للنص الروائي التي تنتج اصنافا مختلفة من المعاني والدلالات.

اللغة هي أول عناصر الأدب فهي المفتاح لفهم المؤلفات الأدبية بشكلها المتكامل ومفرداتها والطابع المميز لنحوها وبناء كلامها لهما بمثابة الأرضية يثبت عليها الصور والأفكار.[2] اللغة هي المادة الأولية التي يعتمد عليها الكاتب في رسم معالم النموذج الروائي والأدبي عامة.

لقد كتب محمد بنميلود روايته بلغة متعددة المستويات تقوم على السلاسة والابتعاد عن غريب اللفظ ومعجزه قائمة على لغة البوح بالاعتماد على تقنية الاستذكار منطلقا من فكرة أن "اللغة والخيال يشكلانّ عاملين من عوامل منطق الثقافة العربية ومثلها يقال فتخيل اللغة هو تخيل صيغة حياتية أنَّ الرواية من منظور العروي تعنى بقضايا اللغة... فالقاص الذي لا يهتم باللغة ليس بقاص.[3] نورد هذا المقطع السردي للتمثيل: "**هذا كلَّه وأكثر جعل أهل الحي خارج سياق العالم الكبير وتطوراته وأحداثه وما يتغير فيه أو لا يتغير لا علاقة لها بالزمن الحقيقي للوجود والتاريخ والجغرافيا والمدن والأمم الأخرى فقد كان لهم زمنهم الخاص المستغلق الذي لا أحد يعرفه أو**

[1] – إدغار موران النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية تر هناء صبحي هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ط1، 2009، الإمارات، ص45

[2] – عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، مرجع سابق، ص79.

[3] – الرواية، ص 33-34.

يحسه أو يعيه، إلا إذا كان واحدا منهم زمنا بدائيا بسيطا محدودا ودائريا من دورة الفصول الأربعة لم يلمسه التعقيد بعد ولم تعكر دورته بعد منغصات الحضارة والتمدن.[1]

تظهر مقاطع الرواية الحي الخطير طبيعة لغتها الموظفة المشبعة بالتفصيل والاطناب في ايراد المعلومات المحيطة بالظاهرة الموصوفة بحث ينسجم الوصف مع تحديد شعور الذات أو زاوية رؤيتها للظاهرة وهكذا طوعت اللغة لخدمة رؤية شمولية تحيط بالفضاء الحي الخطير من كل الجوانب.

جاءت هذه اللغة رغم بساطة ألفاظها في صورة غير مباشرة فبدل أن يكتفي الراوي بالقول أنَّ أهل الحي لا يعيشون بتوقيت أهل المدن ولا يستطيعون القضاء على الوقت بسبب انعدام وسائل تسهل انقضاءه بسرعة أصرَّ على أن تكون اللغة غير مباشرة بحيث يفهم المعنى الخفي وهو انعدام الأجهزة كالتلفاز ووجود البطالة وغياب فرص العمل وغياب دعم السلطة للحي وهي أمور لا يصرح بها الروائي مباشرة فقد "**كانوا يعيشون قانونهم داخل الحي وأعرافهم وتقاليدهم القديمة تلك نفسها ناظرين غيرها ومن خلالها إلى كل الدول وكل العالم مفسرين أخبار المذياع عبرها معتبرين أن الدولة ليست سوى قبيلة كبيرة والملك شيخها الا أنه مقدس أكثر من شيخ قبيلة صغيرة بل تقارب قداسته وهيبته واستحالة رؤيته بالعين المجردة ولمسه ومقامه العالي مقام الله تقريبا.**"[2]

يصف الراوي في هذا المقطع الساخر الخوف والحزن الذي تفرضه الدولة والقانون على أهل الحي، فالموت يترصد بهم في كل وقت فكان الوصف والسرد يتسلل إلى الذهن من أصغر الشقوق،

[1] – الرواية، ص132.

[2] – الرواية، ص133.

وذلك من خلال اللغة التي وظفت لفهم ما يوجد وما يحدث في المجتمع المغربي فصور ذلك من كل الاتجاهات الممكنة راصدا دائما علاقة السلطة بالحي الخطير.

لقد توصل الروائي من خلال ادراج المتضادات في اللغة إلى رصد المفارقات والتناقضات بين أحياء "عكراش" ودوار الدوم الفقيرة والمهمشة وألدال وغيرها من الأحياء الراقية بالعاصمة الرباط التي بالكاد يعرفها سكان الأحياء الفقيرة المستضعفة المهمشة فهو يقول: "**حدث كل ذلك قبل ولادة رشيد ظلت زوجته حادة الشلحة وكانت أكبر منه بكثير أو أن الكبر ظهر عليها دون أن يظهر أبدا عليه ظلت وحيدة رفقة أطفالها فامتهنت التسول سنوات قبل أن تمتهن الخدمة في بيوت حي راق اسمه ألدال**[1]

إنَّ ادراج الروائي للمتضادات اللغوية من شأنه خلق ثنائيات دلالية تجسد رغبة الروائي في وضعها ثمن خانتين كبريين هما المركز والهامش ومن هنا تأتي اللغة في الرواية خادمة لهذا الجانب. ذكر مراد قائلا: "**كل ما أذكره هو أنَّ رشيد وعبد الرحمن وصبية آخرون وانا معهم نبتنا هنا منذ الأزل كدوم هضبة جبال الرايسي**[2]

يستعين الروائي باللغة البسيطة لإيضاح أفكار مضمرة فيشبه نفسه وأولاد حيه بنبتة الدوم تمتاز هذه النبتة بعدم استهلاكها للماء ومحاولة تخزينه وبنموها في المناطق الجافة يحيل اعتماد التشبيه في هذا المقطع إلى الطبيعة الجغرافية التي تمتاز بها منطقتهم والتي لا تملك أدنى شروط ومستلزمات العيش. فكما ان هذه النبتة تمثل الهامش بالنسبة لبقية النباتات الجميلة الخضراء المشبعة بالماء وبضوء الشمس غير الحارق مثل مراد وأصدقاءه الهامش بالنسبة لمن عاشوا في

[1] – الرواية، ص147.

[2] – الرواية، ص149.

أحياء راقية. لذا رغم السلاسة الظاهرة والبساطة العامة للغة الا أن مثل هذه اللغة تضمر أكثر مما تظهر رغم ابتعاد الروائي عن زخرف الكلام وبديعه.

وهكذا تبدو "المهارة في استخدام لغة مراوغة مزدوجة لاتباع مزدوجة يختلف داخلها عن خارجها"[1] استطاع الروائي ترتيب الأفكار وادراج فكرة ومعلومة في خبر أو وصف يخص الحي أو شخوصه فيتطور السرد وتنمو الوقائع وتتطور كما جعل الشخصيات تنطق بلسان حالها وتعبر عن وعيها وأفكارها وأسند لكل منها لغتها التي تناسب مستواها واعتمد في ذلك على الاستعانة باللغة العامية المتداولة لجعل صورة الشخصية أقرب إلى ذهن المتلقي.

تفردت لغة رواية الحي الخطير بالمزاوجة بين اللغة الفصحى والعامية إلاَّ أن اللغة الفصحى هي المهيمنة على السرد والوصف فهي تتمتع بالقوة والجزالة وتجعل الذات الساردة في موقع استعلائي حيث أن " اللغة الخشبية langue de bois التي يتحدث بها المؤلف في بعض مواضع الكتاب وهو يشير بذلك إلى اللغة الجوفاء المحملة بالحقائق والتأكيدات التوتولوجية tautologie أي النطق بتحصيل الحاصل الذي يقوم على الحشو أو مجرد التكرار بألفاظ مختلفة وكأن في الأمر قضية جديدة تدفع بمعرفتنا إلى الأمام رغم انه لا يضيف عما هو معروف شيئا"[2]

[1] – سعد البارغي الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص256.

[2] – المرجع نفسه، ص28.

إنَّ ظاهرة وجود العامية إلى جانب اللغة العربية الفصحى ظاهرة لغوية في جميع دول العالم ولكن منها مجالاته واستعمالاته وتعرف اللهجة العامية بأنها طريقة الحديث التي يستخدمها السواد الأعظم من الناس وتجري لها كافة تعاملاتهم الكلامية.[1]

يؤكد هذا القول على أنَّ العامية موجودة وتتعايش مع الفصحى ومثلما تعبر الرواية عن المجتمع بوصفه تعبر أيضا بنفس لغته وتدرج العامية لخدمة الحوار حتى لتبدو الشخصية قريبة إلى الواقع. وهذا ما يرد في هذا المقطع: "**لطمت خديها وأخذت تندبهما كأنها سمعت خبر موت أحد أقربائها وهي تولول بالهمس وأبي يشرب على مهله من الغراف المنكة بالقطران: يا ويلي وحدي.. يا ويلي وحدي.. هذا الرجل سيطرطق لي المرارة.. أويلي وحدي على سعدي الأكحل.**"[2] تتقاطع العامية مع اللغة الفصحى وتتداخل معها. هذا التداخل والتزاوج الذي فرضه الموقف والحالة الشعورية للشخصية ففي حالة الاضطراب النفسي والضياع والقلق والحزن تصبح اللغة منكسرة غير مرتبة غير محددة في نظام ثابت وقد ارادها الروائي أكثر واقعية بإسنادها الى حوار الأم مع نفسها.. جاعلا هذه اللغة تحمل ثقافة المجتمع المغربي الشعبي وتفكير أفراده البسطاء الذين يربطون كل شيء بالحظ العاثر وسواده إضافة إلى التصرفات التي ترافق موقف اليأس والخنوع.

اعتمدت رواية الحي الخطير على اللغة العامية لكنه أبقى الحظ الأكبر اللغة الفصحى التي هيمنت على السرد والوصف وحتى في الحوار خصوصا ما يجمع بسطاء الحي بالمقدم ومن ذلك هذا المقطع الحواري الذي جمع المقدم بصاحب البيت فيخاطب الجيران صاحب البيت: "**خدم عقلك**

[1] – سعد البارغي الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، مرجع سابق، ص153-154.

[2] – الرواية، ص 154-155.

يا فلأنّ سخونة الراس ترجع بالندامة. أنزل وأسرع إلى القايد قبل أن يعدموا البيت عوض أن تضيع الوقت هنا. أنزل واطلب السماح من المقدم وبس رأسه."[1]

قد يعود ابقاء الروائي على بعض مفردات اللغة العامية إلى قوة معناها بها فترجمتها إلى اللغة الفصحى يقضي على جماليتها ومن ذلك عبارة خدم عقلك أو بس رأسه.

إن اللغة قد أصبحت مصدرا خامسا للمرجعية الدينية العربية الاسلامية فلا يستطيع أحد تخطيها إذ تظل سلطة لا يستطع أي مفكر تجاوزها.[2]. وتعد سبب اكتمال البنية السردية وقد جسد الروائي بربطه بين اللغة العامية والفصحي ربطا مضمرا بين المركز والهامش باعتبار الفصحى للمركز والعامية من الهامش.

لا بد من تعلم لغة عالمية يتكلمها الجميع هذه اللغة تسمى المنطق.[3] ومن منطق الروائي ان يعمد إلى تعديد مستويات اللغة وتنويها بما تقتضيه الضرورة الفنية. يقول السارد: "**لم يكن هناك من مجال أمامي للشك في هذا الفهم فقد أحسسته عميقا وتشربته كاملا مع أنفاس لفائف الحشيش كما تتشرب الاسفنجة أوساخ المطبخ.**[4] اعتمد الروائي لغة مستفزة مقرفة احيانا ومتمردة بذيئة

[1] – الرواية، ص114.

[2] – محمد سعيد طالب الثقافة المقهورة والثقافة المنتصرة ط1 الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع سوريا دمشق 2000، ص162.

[3] – آلأنّ دونو، نظام التفاهة، تر: مشاعل عبد العزيز الهاجري، دار سؤال للنشر، لبنان، بيروت، 2015، ص45.

[4] – الرواية، ص21.

احيانا أخرى ولكنه في الغالب يستقي تشبيهاته وبلاغته التصويرية مما يعايشه المهمشون في المجتمع.

يقول السارد: "**ظل يتأملها لحظة كما يتأمل جثث ضحاياه وقد ظنها ماتت فكر أن يحملها على ظهره إلى فرانه في حينا لكنه تعقل واستقام لحظة ورشاقة قط ضاجع قطة**[1] وتتوالى الاستعارات والتشبيهات في الرواية التي تهدف إلى تقريب صورة الواقع المرير ويصور لنا هذا المقطع مدى القهر الذي عانت منه حادة من طرف العربي الذي مارس عليها أبشع طرق التعذيب الجنسي وتركها جثة هامدة وذهب في حال سبيله.

5/ آليات التمركز ومقاومة الهامش:

تعد الرواية أكثر الأنواع الأدبية ملاءمة للمجتمع في العصر الحديث وبالنظر إلى أنها قد ورثت مكانة أكثر قراءة واهتماما من الشعر فقد استطاعت ملامسة كل القضايا والاهتمامات الإنسانية مهتمة في الأنّ نفسه بالشكل الروائي ومن ذلك تقديم المتن ضمن عتبات فنية ويعتبر العنوان أهمها. شكل عنوان الرواية الحي الخطير عنوانا محيلا إلى موضع الأحداث في الرواية وإلى طبيعته المتمردة، وقد كان هذا الفضاء السردي ضاما لمجموعة من الدلالات كالإقصاء والعزلة والعنف والظلم فأي حي خطير يعتبر ضاما لهذه العناصر.

5-1/ الاقصاء:

يعرف محمد الجواهري الاقصاء بكونه: "موضوع الاستبعاد الاجتماعي الذي هو نقيض الاندماج أو الاستيجاب لموضوع حيوي وكاشف لطبيعة البنية الاجتماعية في أي مجتمع فالاستبعاد ليس

[1] – الرواية، ص148.

أمرا شخصيا ولا راجعا إلى تدني القدرات الفردية فقط بقدر ما هو حصاد بنية اجتماعية ورؤى محددة ومؤشر على أداء هذه البنية لوظائفها وهو ليس موقفا سياسيا فقط ولا طبقيا"[1]

يكرس الاستبعاد للامساواة بالضرورة بين المقصي والأفراد غير المقصيين بحيث يتم حرمان الأول من المشاركة الاجتماعية في نشاطات مختلفة كالزواج والعمل وحتى في الانتماء إلى العائلة كما قد يتسع الأمر إلى حرمان المهمشين من المشاركة السياسية في الحكم وفي تقلد المناصب العليا وهذا كله يكشف الطبيعة التي تسير عليها بنية المجتمع وتتشكل فيها بسلبياتها وبإجابياتها ويتم كل هذا وفقا لوجود اختلاف ما لا يرضي المجتمع فيهمش الأسود عرقيا وتقصى المرأة جنسيا واخلاقيا بالنسبة للشاذ وطبقيا بالنسبة للمتشرد.

يلاحظ في رواية الحي الخطير رصدها لحالات التفاوت بين الطبقات والشرائح الاجتماعية المختلفة فقد برز من بين تلك الحالات احساس المهمشين بالدونية وهو الشعور الذي دفع مراد للتساؤل عن سر التفاوت الطبقي محاولا فهم كيفية وصول الإنسان إلى السلطة دون أن يكون لغيره نصيب منها فيصبحون تحت حكمهم يقول: "**لا أستطيع أبدا أن أفهم كيف تستطيع الدولة منح نفسها حق سجن الناس كما تسجنني الأنّ أو اعدامهم أو افراغهم من بيوتهم أو ترحيلهم أو منح عمل لبعضهم وحرمان بعضهم الآخر منه؟ من تكون هذه الدولة إذن؟ ولماذا يراكم رجالاتها ثروات هائلة وقصورا وفللا وضياعا وسيارات فارهة بينما على الحثالة والأوغاد من السواد الأعظم السكن في الكريانات والدواوير الصفيحة والأحراف وارتداء الأسمال والاقتيات على الخبز الجاف والشوك واليأس والصيام طيلة حياتهم وحتى بعد موتهم.**"[2]

[1] – هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق، ص91.

[2] – الرواية، ص31–32.

إنَّ طرح مثل هذه التساؤلات غير الاعتباطية تنم عن وعي الكاتب بمفهوم السلطة وكيفية تشكلها في المجتمع والتي تتأتى من هيمنة الأقوى على الضعيف لذلك يكتفى بالتساؤل قصد دفع القارئ إلى امعان النظر في هذه الاسئلة وعدم الاكتفاء بالنظر الى وضع الهامش وتأثره بأنظمة الحكم المقصية له. يقصد الروائي أن الوضع قائم ولكن الأهم هو البحث في المسوغات التي شكلته وأفرزته ودعمته ولما يتحدد في الذهن المسوغ يكون الفهم تاما للظاهرة الاجتماعية والحل ممكنا.

عبر الروائي عن الاقصاء في رواية الحي الخطير انطلاقا من قراءته العميقة للوضع الذي تعيشه بعض احياء المغرب وإثارة قضاياه واشكالاته التي أنجبها التكريس للسلطة وظروف الواقع فظهرت حالات الفساد والضياع والدمار النفسي يقول: "**أعرف أن لا أحد سيسمع هذه الكلمات الخائفة التي أرددها الأنّ فقط داخل أعماقي دون صوت لكن واحدا وعشرين يوما كاملة في الظلام في السجن داخل السجن لن تمر بسرعة بل قد تبدو أطول من الستة عشر عاما التي علي قضاؤها كاملة بين الجدران والزنانين والحراس وحثالة المساجين**[1]

ومن هنا يدخل بطل الرواية مراد في حالة تأزم فكري وجودي متضاربا مع حقيقة النظام القائم داخل السجن وخارجه ومع ذاته المتمردة التي تعيش حالة عزلة واقصاء.

يمكن اعتبار الاقصاء الذي انتشر في الحي الخطير هو المظهر الرئيسي لعدم الاستقرار الشعب والجشع الذي أصاب النظام السلطوي والصراع لأجل السلطة الذي أقصى من دائرته الشباب وبسطاء الشعب يقول مراد "**لا يعرفون أنني مثل شظية قنينة خمر محرمة مقذوفة على رصيف متر بمدينة الحواف وأن كسري لا يزيد ويضاعف سوى عدد الشظايا المدببة والحواف الحادة الجارحة لكل من يفكر في بلعها أو مجرد الاقتراب منها لقد ولدت مكسورا منذ البداية والذي**

[1] – الرواية، ص9.

حدث كان يجب دون ندم على شيء أو توبة أو طلب الغفران من أحد بل اكثر من ذلك اني مستعد لتكرار كل شيء من البداية ترعب مضاعف وإصرار على الجريمة كما اني قد بدأت أيضا في التخطيط للهروب من هذا السجن من قبضة العدالة التي لا يطيقونها الا علي وعلى أمثالي من الحثالة[1] يفهم من القمع السلطوي بما فيهم العدالة كان له دور كبير في الاقصاء الأهالي يستخدم القوة أو التهديد وتحطيم الأفراد سوءا نفسيا أو معنويا وهذا تكون مهمة السلطة التي تقصي دور الفرد والتي تمارس عليهم القمع بوحشية.

رواية الحي الخطير رواية اجتماعية فقد استطاع الكاتب من خلالها أن يصور المجتمع وتصور عادات أهلها واعمالهم وأخلاقهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض في ظروف اجتماعية غامضة حيث يقول السارد: "**هل أنا وعبد الرحمن ورشيد وخالي وعصابة الشعبة وباقي الحثالة هم بذور الشوك و... وبراعمه و... ؟ هل كان بالإمكان أن تحدث معجزة سماوية أو غير سماوية لتصير أشواك وورود وليس أشواك طلع وزرع وصار وحشي وفناء؟ هل علينا الآن كما يعتقدون ويرجعون لنا أن نندم لأننا لم نكن ورودا؟ من أين جئت؟ ومن أين جاء رشيد؟ هذا هو ما يجب أن أتذكره الأنّ وسط هذه الزنزانة متذكرا في عمقه أرواحهم وأحلامهم وضحكاتهم لأقاوم بها جدرانها الباردة وعتمتها العمياء**"[2] فالإقصاء شعور الفرد بأنه مهمش ولا يلقى الاهتمام ممن يحيطون به سوءا على الصعيد العائلي والمجتمع وتعدد مظاهر الاقصاء إلى مستويات عديدة في المجتمع فهذا الاخير غالبا ما يلحق اضرارا تنعكس على تدهور الحالة النفسية للفرد مثلما حصل لمراد وباقي أهل الحي الذين يعانون أبشع الاقصاء.

[1] – الرواية، ص8.

[2] – الرواية، ص41-42.

يقول السارد: "**كنت دائما أقاوم داخلي أي احساس ساذج كهذا قد يتقاضى وفي تلك اللحظة بالذات كان علي مقاومته أكثر إدخال يدي بقوة في بطني وانتزاع كل ذلك الجذور وانتزاع كل عاطفة معها اقتلاعها دفعة واحدة عاضا بقوة على أسناني وقذفها بعيدا في الهواء كمن ينتزع رضاضة من صدره.**"[1] يكشف هذا المقطع عن احساس مراد الذي يعاني من الاقصاء والحرمان في صمت ويحمل دلالة قوية على ازدياد القيود التي فرضتها الدول على مراد وكبت الحرية والرأي والتعبير إلى دراجة لا يستطيع العقل البشري فهمها ففي مجتمع أخضعته السلطة إلى الاقصاء والحرمان والفقر ودفعت بأبناءها إلى التخلف الفكري والاجتماعي نتيجة هذه السلطة القمعية ومن أجل تحقيق أهدافها الخاصة.

لقد صور الروائي هذه الفئة من المجتمع أنهم مسيطر عليهم من طرف السلطة وأن لا حول ولا قوة لهم فهم يعيشون حياة قذرة ومنبوذون لا يعرفون شيء عن الحياة فقراء يهتمون فقط بالمصارعات اليومية والسرقات وبيع الحشيش وهو المصدر الوحيد لمعاشهم اليومي ذكر الراوي: "**وأنا اتفرس فيهم وفي حركاتهم جيدا بعمق أنهم حثالة بالفعل كما أحسستها بنفس العمق حيال نفسي أيضا وأنا أقف بتلك الطريقة داخل ذلك المصير المظلم لحياة تكاد تنتهي بقدم ثابتة في الوحل وأخرى ثابتة على الحافة.**[2]

وبعد كل هذا الضياع الذي حال بمراد وباقي أهل الحي وهذا الاحساس الذي يرافق مراد طوال اليوم وعلى تحصره لتلك الحالة فبقي حائر ويصف أهل المجتمع بالحثالة الدين يعيشون حياة

[1] – الرواية، ص48.

[2] – الرواية، ص49.

موازية مع البطش والاقصاء لا يستطيعون تحقيق ابسط أحلامهم وفهم يعيشون في مجتمع مكبوت مخنوق

يعرض مراد في هذا المقطع نوعا من الاقصاء الممارس عليه وهو الاقصاء من التعليم يقول: **قررت حينها أن اواصل الطريق عوضا عنه بالطريقة الصحيحة وليست الخاطئة ودون نقابات ودون تنظيمات ودون مظاهرات ودون رسائل مشفرة بل بمفردي فقط بسكين كبيرة داخل ثيابي أو فقط رفقة بعض أصدقاء طفولتي الذين لم يسبق لهم قط أن قرأوا كتابا**[1]

يدل هذا على غياب الوعي وتهميش العقول والكفاءات والذي يؤدي إلى الكبت والاحباط وينجر عن كل ذلك محاولة لإثبات الوجود اجتماعيا ولو بطريقة غير مشروعة لكسب الثروة التي تنقل المهمش إلى دائرة المركز.

لقد وصل مراد إلى معايشة حالة نفسية سوداوية يائسة بسبب فعل الاقصاء الممارس عليه الذي جعله يقوم برد فعل معاكس تجاه يسعى لإثبات هويته وصنع وجوده والدفاع عن نفسه نتيجة لتفشي الفساد الاجتماعي وانعدام القوانين فأصبحت الجريمة فعلا مضادا يصنع له وجودا وهميا واعتزازا بالذات. يقول مراد: " **لم تعد الجريمة بالنسبة لي تعني العار والخطيئة والضلال بقدر ما تعني الدفاع عن النفس فالعار الحقيقي و... والخطيئة والضلال هو أن يولد آلاف من الناس كالبكتيريا في هذا الحي الشبيه بالقيء وفي أحياء كثيرة في العالم على غراره وأن يعيشو حياتهم كاملة فيه حتى يحملهم جيرانهم على نعوش إلى المقبرة الشهداء المقفرة بينما يولد أناس آخرون في أماكن شاسعة مزهرة وأكثر فخامة من الجنة**[2]

[1] – الرواية، ص23.

[2] – الرواية، ص21.

عالجت بنميلود في هذه الرواية التي تحمل في طياتها كل أنواع التهميش الممارس على الفرد المغربي فقد ركز على الاستبعاد الاجتماعي وهو النوع الأكثر انتشارا ويركز على استبعاد واقصاء الطبقات الفقيرة المحرومة والطبقات المهمشة بمعناها الواسع فالمقصيين اجبرتهم الظروف الاجتماعية على ذلك وهم يعانون من الحرمان الاقتصادية والاقصاء الاجتماعي ويظهر ذلك في المسكن والأكل والملبس يقول : **فقد ظلوا قرويين فلاحين مزارعين ورعاة داخلها بإستثناء انهم بلا أراضي فلاحية وبلا محاريث وجرارات وماكينات حصاد أما المواشي والدواب والدجاج لم يستطيعوا فراقها بل ظلت ترافقهم كأفراد عائلاتهم إلى الأبد فأغلبهم يربي دجاجا يسرح ويمرح داخل البيت وخارجه وأرانب وقطط وكلابا هزيلة تأكل الخبز اليابس والنخالة وقشور البطيخ.**[1]

نلاحظ مما سبق ذكره أنَّ كلمة الاقصاء مرادفة للتهميش فكلاهما يدلان على موضوع واحد وهو عدم القدرة على الاندماج في المجتمع وبذلك عدم القدرة على المشاركة في الانتاج والاستهلاك والعمل السياسي والتعامل الاجتماعي وهذا النوع يركز على استعداد الطبقات الفقيرة والمحرومة والطبقات المهمشة بمعناه الواسع فالمقصيون اجبرتهم الظروف أو العوامل السياسية أو الاجتماعية على ذلك وهم يعانون حرمان اقتصاديا واقصاء اجتماعيا ويظهر ذلك في المسكن والمأكل والملبس وخاصه العلاقات الاجتماعية والخدمات وهذا ما اوضحته الرواية.

5-2/ العزلة الاجتماعية:

عندما لا يستطيع الفرد إقامة علاقة طبيعية مع المجتمع لأسباب قد تكون لعدم تقبله لقوانين وعادات وتقاليد المجتمع الذي ينتمي اليه وبالمقابل لا يكون له الحق في ابداء رأيه في الرفض والتغير وهذا ما يؤدي إلى الاغتراب والعزلة الاجتماعية فمنها ما تكون إجبارية في حين أنَّ اغلبها

[1] – الرواية، ص131.

تكون ناتجة عن إرادة الفرد للابتعاد عن المحيط الخارجي وعدم الرغبة في الاختلاط وتكوين عالم داخلي خاص بهم بدل من عالم مليء بالنفاق والخذلان والاحتقار من طرف قوات أكبر منهم.

هذه الغرفة مظلمة وبلا نافذة أعتقد أنَّ هذه لصالحي الآن إذ طالما تمنيت أن آخر ساعة إلى نفسي هكذا دون أن يقطع خلوتي أحد أو شيء وها هو السجن يمنحني الآن واحد وعشرين يوما كاملة بلياليها ومهاراتها وعزلتها الاسمنتية الجديدة الصارمة من أجل أن اخلو بالكامل بنفسي الشيء الذي تمنحه لي الحرية أبدا[1] وما يجعل من العزلة وسيلة تم اختيارها للهروب من المواقف الاحباطية التي تواجهه في كل وقت وهذا ما يسيء للإنسان الذي يعيش في مجتمع مغلق الذي لم يتوصل بعد إلى درجة التمييز والفصل بين وظائفه الاجتماعية وهذا ما عبر عنه مراد :"**لكن في حقيقة الآمر لا أحد يحقق تلك الأحلام لا أحد على الإطلاق يحقق ثروة سريعة من أبناء ذلك الحي والأحياء الأخرى المتشابهة المسلحين باليأس والسواطير والجريمة ولا الخانعين منهم المسالمين المتطأطئين لا أحد أبدا يخرج من الجحيم ليلتحق بالجنة لقد ولد في الجحيم بجينات الجرذان والصراصير والشياطين وعليه تقبل مصيره برضا وإيمان وقناعة بالبقاء في الجحيم حتى النهاية**[2]. إن الوعي العميق الذي يمتلكه مكنه من رؤية الواقع على حقيقته فقد أحس أن الأمور قد وصلت إلى مفترق الطرق لا جدوى في العيش مع حثالة المجتمع.

فشعور الفرد بالعزلة والوحدانية والكره وعدم الانتماء وهذا ما يؤدي به لفقدان الاحساس بالقرب والمحبة وتقبل الآخرين فقد اهتم الكاتب إلى التعبير عن هذا الوضع وهذه الأزمة المتشعبة حيث وصل اليأس بالبطل الى اختيار العزلة يقول الراوي **اني أكلم نفسي فقط وكل ما أقوله بيني وبينها يمر بسرعة البرق غير خاضع لشروط الرمان والمكان بقدر ما هو خاضع فقط لزمنه الداخلي**

[1] – الرواية، ص07.

[2] – الرواية، ص11.

ومكانه الداخلي العميق المنطوي كسكين داخل اغوار نفسي[1] فبطل الرواية يعاني من القمع المتعدد الوجوه الذي ظل يهدد كيانه وهذا ما جعله يخلو في عزلة نفسية نتيجة الكره والخوف فالعزلة تؤدي بدورها إلى حالة من القلق والغموض.

يطرح مراد أسئلة استنكارية لما يحدث داخل هذا المجتمع الذي يسود فيه جميع أنواع الاستبعاد والحرمان الذي تسببه الدولة وتجعل من اهل الحي يعيشون في عزلة داخلية وخارجية والشعور بنوع من المفارقة بين أصحاب السلطة والشعب مما يجعلهم يعيشون صراعا نفسيا يقول: "**هناك دائما زعيم وحرس وسلاح وسيارات مصفحة سوداء تنقل الملوك والرؤساء والوزراء بسرعة شديدة وهذا هو المظهر والسلوك الناجح لأي عصابة ما علاقتنا نحن، إذن، في ذلك الحي بالشرطة أو بالحكومة أو بالدولة أو بأي حكومة أو دولة أخرى في العالم لا توجد أي علاقة سوى في قدرتهم على تحويلنا إلى قطاعات وتعود ومجتمعات خاصة بعصابة دولة دون عصابة دولة أخرى وتجريدنا من السلاح والارادة وتحويلنا إلى أجراء لدى تلك العصابة ومستضعفين عزل يجب عليهم دفع الاتاوات والمكوس والضرائب والرشوة والنساء للفتوة**"[2] من هنا نجد أن القمع السلطوي كان له دور كبير في العزلة الاجتماعية التي وصل اليها أهل الحي باستخدام القوة المدنية أو التهديد أو القمع من أجل تحقيق أهدافها ويتضح أن هذه الظروف المأساوية القهرية قد اجتاحت مختلف طبقات المجتمع المغربي وبخاصة على الصعيد السياسي.

ترسم رواية الحي الخطير جانبا آخر من صورة الإنسان المهمش تتمثل في العزلة التي وصل اليها مراد وهو في السجن حيث يتجلى فيها انسان معزول عن ذاته بسبب استعماله في تحقيق ذات السلطة القمعية التي تحكمه أو تشغله بذاتها الطاغية وفي سبيل ذلك فإن السلطة تستهلك

[1] – الرواية، ص43.

[2] – الرواية، ص31.

حياة ذلك الإنسان ومن حياة جيل بأكمله لسنوات جديدة لهذا قرار مراد الذهب في هذا الطريق المعزول والذي فرضته السلطة يذكر: "**لقد قررت الذهاب في هذه الطريق الراضخة أمامي لوضوح السراب دون دم أو..... وانتهى الأمر وها قد أوصلتني الأنّ إلى هذه الزنزانة كما أوصلت رشيد وعبد الرحمن إلى المقبرة لكن السجن أو المقبرة أفضل بكثير في كل الأحوال من الحياة الطويلة البائسة الخالية من الأمان داخل قيء عملاق**"[1] فالإنسان بهذه الطريقة والصورة التي وضحها المشهد السردي يبقى معزولا عن تحقيق وجوده الخاص ومقصيا بنحو مقصود وغائب عن المجتمع وفي النهاية يستسلم لهذا الوضع المزيف المكرس له بأيدي السلطة ويعيش في حالة من اليأس والقنوط تخبو بسببه شعلة الأمل في الحياة.

لقد أصبح الإنسان المعزول في الحي الخطير مجرد حجر هامشيا لا يستفاد منه يجلس في زاوية من زوايا الحي ولا أحد يعلم بوجوده بسبب تمركز السلطة ومحاولتها إقصاء كل من يحاول الوصول اليها محققة أهدافها الأنانية عبر عزل الشعب وتأجيل إنسانية الإنسان يقول: **بعد مرور شهر عن وفاة زوجته أمسى يبيت أحيانا داخل فلوكته فلا يغادر النهر الا بعد أيام ساءت حاله أكثر اذا لم يجد من يعتني به بعد عودته من النهر أدمن الشراب أكثر وأهمل تنظيف الكوخ بشكل كامل حتى أصبح أسوء من مزبلة الحي**[2]

ان الشعور بالعزلة الحادة تجعل كل شيء آخر يبدو غريبا ومعديا ومن ثم يشعر الإنسان انه غريب في مجتمعه وهذا ما تبين من خلال قدوم العروسي إلى الحي وقد أغمض عينيه عن الحياة وانقطاعه عنه هي الحياة التي يريدها منقطعا عن الآخرين فيسبغ عليها مشاعر إنسانية حين

[1] – الرواية، ص33.

[2] – الرواية، ص65.

ينظر إلى ذاته يعبر الراوي: **جاء العربي إلى الحي يعور عينه ذاك وماضيه الغامض وانطواءه الكامل على نفسه وعدم اقترابه من الناس وعدم تشجيعه لهم للاقتراب منه**[1]

وربما تمنح هذه العزلة بعدا وقيمة خاصة متميزة عند مقارنته بالآخرين الذي يعملون من دون اهتمام والضياع المؤدي في النهاية إلى الفناء والتلاشي من دون ترك اي أثر متميز خلفهم.

لقد وصف بنميلود شخصية العربي المهمش في هذه الحياة المنقطع عن الآخرين وعدم الانغماس فيما ينشأ بينهم من علاقات يومية وذلك ناشئ من صراع لا يحقق التواصل مع الآخرين فالإنسان المنعزل بنفسه يجد صعوبة في الاتحاد مع العالم المحيط به إيمانا منه أن الهامش والمركز لا يلتقيان يرد ذلك في وصف العربي: **كان هو قطرة الماء التي لا تنتمي إلى أي ساقية ولا تخضع لقانون أي حربان ولا تدخل في صبح اي مجتمع لقد كان ساقية سرية لوحده يفكر بطريقة مختلفة عن المجتمع وقلبه الذي كان يخفق بين ضلوعه ضاخا الدم إلى عروقه لم يكن كأي قلب اخر من قلوب البشر المتشابهة لقد ولد ليكون هكذا أو لعل القدر المقدس لنفسه هو من صنعه هكذا لسبب غامض بل حقا يمكن القول أن حتى القدر نفسه يعتبر أمنه مثلما تبرئت الألهة جميعها من الشيطان ليصير الشيطان بذلك مسؤولا عن أفعاله مستقلا عن الآلهة كذلك محددا مصير نفسه ومصير من حوله لمشيئة نفسه**[2] وعزلة العربي التي نشأت في مجتمع يجره الفساد والجريمة في حاول من خلالها الوصول إلى فهم أعمق لذاته الإنسانية وصراعاتها ولمس الجرح.

[1] – الرواية، ص77.

[2] – الرواية، ص83-84.

يمكن أن نخلص إلى أن العزلة الاجتماعية عبارة عن عجز الفرد عن بناء علاقاته لشعوره الذاتي بعدم الانتماء إلى المجتمع واحساسه بعدم قدرة الآخر على فهمه واستيعاب تصوره وأفكاره فلا يقدر على الاندماج بالمجتمع مما يؤدي إلى إنتاج حالة من الخوف والقلق والضياع ذاتيا وفي محيطه الخارجي ومما يفعل شعور الفرد بالعزلة القمع الذي تمارسه السياسة عن طريق أدواتها السلطوية التي تهمش أغلبية أفراد المجتمع لصالح فئة المركز.

5-3/ العنف:

لقد كشفت الرواية "الحي الخطير" حقيقة الواقع الهامشي الذي جعل من سكان الحي يظهرون صراعات دموية يكون البقاء فيها للأقوى، حيث يقول:" **كلاهما كان يحمل سكينة في يده ولا يرتدي سوى السروال دار حول بعضهما، لبعض الوقت محاولين كل واحد منهما على حدة، اقتناص غفلة الآخر لطعنه دون تلقي طعنة دام ذلك دقائق سمعت فيها هتافاتها بالتشجيع المتداخل مترددة أصداؤها في الوادي كهتافات مشجعي مباراة ملاكمة، لكنّها لم تكن مباراة ملاكمة بل مباراة في القتل الحقيقي** "[1]

لقد خلقت هذه السياسة المغربية حسب مراد شعبا لا مباليا بالأمور الاجتماعية أو السياسية أو غيرها إلا بما يتعلق بإشباع حاجياته كالعنف والإجرام وهذا ما انتشر في الحي، وذلك بغياب المسؤولين والمسؤولية، شعبا ينتظر حقّه بفعل الشغب وبفعل المصارعات والقتل، خصوصا بعد أن رفعت الدولة شعارات تدعو إلى الاستهلاك المادي، وتمجّد الشعب من أجل تقديس القادة والعصابات الكبرى داخل الحي.

[1] – الرواية، ص34.

يحاول محمد بنمليود، من خلال السرد الروائي أن يطرح إشكالية العنف بشكل فنّي ومنطقي فجعل من شخصيّة خنفاش الشخصيّة البارزة في تفشي ظاهرة العنف والذي قام بفعلته عندما" **اشتعلت النار فوق الكوخ أخذت شكل البرق، ثم انتقلت إلى الكوخ الذي يليه ثم الكوخ الذي يليه، حتّى غطّت ستة أكواخ، ماتت زوجة البولونجي عيشة الشهباء وابنه الأصغر المراهق دحمان وثلاثة أطفال وعجوز اسمها خالتي دامية لا علاقة لها بعائلة البولونجي لا من بعيد ولا من قريب وأشخاص آخرون لم تعرف هوياتهم، واحترقت وجوه وأطرف عدد كبير من الأشخاص بعضهم من عائلة البولونجي وبعضهم من جيرانهم بينها نجا عبد الرزاق وباقي إخوانهن قال بعض الوشاة لعبد الرزاق إنّ خنفاش هو من فعلها، فبدا له منطقيّا أن يفعلها.**"[1]

إنّ هذه السياسة لم تكن غاية في حد ذاتها بل وسيلة للانتقام من عبد الرزاق وإرجاع الاعتبار لنفسه، ولقد ركّز الكاتب على هذه الظاهرة في الرواية وذلك لتوضح أكثر الواقع المعاش في المغرب، وغياب السلطة عن الدفاع عن المظلومين، أو بالأحرى هي التي تمارس هذه الظاهرة، فبنمليود استطاع أن يكشف القاع المظلم من خلال تفشي العنف بأنواعه المختلفة.

لقد استفادت الطبقة الملكية من الخيرات الوطنيّة على حساب المصلحة العامة من خلال مناصبها العليا في الدولة، فعملت بقوّة وأثّرت على العديد من القرارات السياسية والاقتصاديّة والاجتماعيّة، في ظل تراجع الثوابت الروحيّة وتحلل القيم، وانعدام الشعور بالمسؤولية لدى الفرد بسبب الفساد السياسي والاقتصادي، وأمام غياب الرؤية الواضحة وانسداد الأفق ارتفعت صرخات الشّعب الذي تتوال عليه العزائم والإخفاقات في ضوء التّحولات المتسارعة التي لم تفسح له المجال لاستيعابها، ولم يعد بمقدوره تحديد الرؤية والأهداف وهذا ما سعى إليه بطل الرواية مراد لاستذكاره الماضي وهو في قبضة السلطة خاصّة وهو في تلك الزنزانة حيث يقول:" **في الماضي كانت**

[1] – الرواية، ص28.

حربي عند أبناء حيي من أفراد العصابات أو بالأحرى كانت حربا مفروضة علين ليس من أجل الدفاع عن نفسي، ففي كل الأحوال حين تجد نفسك متورطا عليك شحذ سكين كبيرة وإخفاؤها جيّدا داخل حزام سروالك"[1]

وفي ضوء هذه الأفكار التي تدور في رأس مراد والتي عبّر عنها برفضه لهذا الواقع الذي يعاني من خلاله، وعجزه في تقديم الحلول فاقتنع في الأخير أنّ البقاء للأقوى، ولا يوجد مكان للضعفاء.

لقد كان الكاتب في هذه الرواية قريبا جدّا من الحدث وهو يرصد ما آل إليه الواقع الاجتماعي المغربي، حيث يقول:" **عمت الحي فوضى عارمة لشهور، كثرت الاختفاءات الغامضة، والتعليم على أبواب الأكواخ، والجثث التي توجد في الصباح ملقاة هنا وهناك، في زقاق ضيق، على السكة، داخل المقبرة فوق قبر معلقة بحبل على الكاليتوسة، مقطعة بسكين أو شاقورة داخل أكياس متعفنة فوق سقف بناية محول الكهرباء المعطل، أو قذفها النهر تتأرجح على الساحل ..... مفتوحة أو بخناجر أفزعها .....** "[2] فحين يصف مشاكل أهل الحي ومختلف الجرائم التي تحدث داخله نحس أنّه فعلا كان داخل أسوارها وداخل كل زاوية من زوايا الحي، وكذلك حين يصف تلك المشاهد الملتهبة والمجازر التي رصدها جراء عنف الجماعات المتكونة في عصابات الدولة وعصابات السلطة، فقد كان بنمليود دقيقا في الوصف باعتباره جزءا من أهل المغرب وذاق مرارتها كما يوضحه هذا المشهد" **رغم ذلك واصلنا طريقنا تلك المحفوفة بالموت أكثر مما هي محفوفة بالثروة، اضطررنا إلى قتل شخصين هاجمانا في طريقنا ذات مرة ونحن عائدين من عكراش بعد تسليمنا بضاعة الحشيش كأن الظلام قد خول فوق أرض..... وكما يقول هجرة الحي المهاجم يموت شرعا، لقد هاجمونا على حين غرة، ..... عن الدراجة النارية**

[1]– الرواية، ص10.

[2]– الرواية، ص140.

الموبيلت كنت أنا من يسوق وكان رشيد يركب في الخلف كانت معركة سريعة وخاطفة، كان بالإمكان أن تنغرس السكاكين في بطنينا، لكن سكينا انغرست في ذراعي فقط بينما تفادى رشيد سكينا قصدت عنقه "[1]

كما يوضح هذا المشهد الذي يصور فيه الروائي إحدى المعارك الدامية المحفوفة بالمخاطر والموت التي تعرّض لها مراد ورشيد في طريقهما إلى عكراش، حيث يواصل الكاتب في تفجير الأزمات والمخاطر التي مزّقت كيان المجتمع وأهل الحي نتيجة الفساد السياسي والاقتصادي وتباينت فيها الرؤى وتتعدد المواقف يظل مراد ورشيد وسكان الحي هم الصحيّة الأولى في تفشي ظاهرة العنف والقتل.

وإلى جانب هذه القضايا يطرح الروائي قضيّة العربي وهي الشخصيّة الأكثر غموضا، إنسان مهمّش يعيش في عزلة عن المجتمع فالكاتب في هذه الرواية لا يطرح هموم الشعب والوطن فحسب وإنما يحاول أن يطرق بعض هموم الإنسان المغربي الدوني على المستوى الإيديولوجي والإنساني كما هو الحال في هذا المقطع الذي يتناول فيه قضيّة العنف التي جعلت من العربي يصل إلى هذه الحالة " **لقد أصبح العربي مع الوقت حواسي واحد من الوحوش والضراري التي لا ترتكب أي خطأ أثناء الصّيد، فمهما كانت العصابة حذرة تقع بين أظافر الثعلب، ومهما كانت الأرنب سريعة تنتهي بين أنياب ابن آوى المطبقة، ومهما كان الغافل الشارد في قفر حريصا على حياته يسقط أخيرا صريعا أمام حذاء العربي السميك المفكك الخيوط، دون مقاومة أو صراخ أو لفت انتباه. "[2]**

[1] – الرواية، ص25.

[2]– الرواية، ص87_88.

إلاَّ أنَّ الكاتب خلال عرضه هذه القضايا التي تتعلق كلّها بالواقع المغربي كان يكتفي بوصف الأحداث وتحليلها لأنّه كان يهدف إلى إبراز مواطن الضعف ومكامن السقوط في قاع المجتمع وانتشار الجريمة بشتّى أنواعها.

لقد ركّزت رواية الحي الخطير على الصوت الإنساني المقهور في جميع جوانب الحياة، فقد رصد الروائي بنمليود مختلف العوامل التي أسهمت في مجتمعه إلى بث نار الفتنة والإجرام والقتل في المجتمع المغربي عبر إثارة العنف بين الأفراد، وفي هذا السياق جاءت الرواية بحثا في المسار الإيديولوجي السياسي المتسلط على الشعب الذي خلق ظاهرة العنف في المغرب، كما هو الحال في هذا المقطع السردي الذي جاء به الروائي ويقول: " **كان هناك رشيد ونعيمة ينتظران فرقتنا لا يعلمان شيئا عمّا يحدث في العالم، استفردوا به، حاول مقاومتهم لكن ذلك بلا جدوى أردوه قتيلا بطعنات كثيرة وحين صرخت نعيمة (..)، لم يعرفوا أنّ بطن نعيمة كان يخفي جنينا، لم يعرفوا شيئا، فليس ضروريا أن تعرف كل شيء في الحرب، كل ما عليك معرفته أكثر هو القدرة على تسديد الطّعنات قبل أن تسدد إليك.** "[1]

ومن هنا فإنَّ العنف الاجتماعي يعد سببا في المشكلات النفسية والاجتماعية المعقدة إذ أضحى العنف إحدى مكونات العصر الأساسية وأصبحنا نلاحظ كثيرا من الموجات التي تجتاح العالم وتجعل من المجتمعات تعيش في قلق وحيره بسبب هذه الظاهرة التي بلغت أشدها في أوقات ما مسار الانسان يعيش حياته البؤس والحزن والكآبة إذ لا يكاد يخلو يوما في الحي الخطير دون سماع أبشع وأفضع الأعمال المرتكبة في حق الانسان الذي وجد نفسه يعذب ويقتل دون رحمه من أخيه.

[1] – الرواية، ص39_40.

5-4/ الظلم:

لقد أفرزت الأنظمة القمعيّة جدلية القاهر والمقهور، وهو ما زاد الأمر تعقيدا، لقد عبرت الرواية كجنس أدبي عن الظلم المعنوي والمادي الذي تعرض إليه بطل الرواية مراد حيث يقول في هذا السياق:" **يحاولون الأنّ كسري إخضاعي، تطويعي، بين هذه الجدران كما استطاعوا دائما كسر وإخضاع وتطويع ملايين الناس الذين يذهبون كل يوم مطأطئين رؤوسهم في الشوارع، خاضعين راضين بالقسمة والنصيب، مرعوبين من القانون ومن الملك ومن الله.**"[1]

فالظلم الممارس ضدّه أو ضدّ ملايين الناس من أهم المشاكل التي يعاني منها المجتمعات البشرية خاصة المجتمع المغربي، ودلك طبقا للظروف الاجتماعيّة والسياسية التي تنطبق على أهل الحي وعلى مراد.

وقد اختار الكاتب شخصية المثقف لكونه أكثر إحساسا وشعورا ووعيا بالأمور من الإنسان العادي، حيث نسبه وشبهه بالمثقف جبران خليل جبران كدليل على الثقافة التي يمتلكها والمقاومة من أجل العدل وتحقيق السلام وإدانة الظلم حيث يقول مراد:" **وهذا ما حيرني أكثر حينها، لماذا اختطفوا خالي وعذّبوه وسجنوه في سجن سري حتى مات أو أعدموه رغم أنه لم يكن مجرما ولا بائع حشيش ولا يسطو على السابلة بسكين ولا برأس عصابة ولا يبيض الأموال ولا علاقة له من بعيد ولا من قريب بأكواخ الدعارة ولم تكن له سوابق قضائية؟ من هم هؤلاء..... ، زوار الليل، بسياراتهم السوداء غير المرقعة، الذين قرروا موته داخل محكمة بلا قضاة، بينما**

[1] محمد بنمليود: الحي الخطير، ص8.

لم تكن تتردد في رسائله وخطاباته سوى هذه الكلمات. وطن، شعب، نضال، عداء، ثورة وأشعار ومقاطع حالمة من كتب جبران خليل جبران "[1]

ومن خلال هذا السرد الروائي يجسد طبقة المثقفين الذين يعانون في صمت من ظلم وتهميش ويسعى إلى التمرد على الواقع والتغير نحو الأحسن نظرا لعدم قدرته على التّكيف مع الواقع المعقد والمتناقض فقد ضحى في سبيل الثورة والشعب.

من هذا المنطلق حاولت رواية الحي الخطير أن تعالج قضيّة استهداف المثقف بوصفه يعيش قمعا متعددا بتعدد أسبابه وتنوع تجلياته واختلاف أساليبه، وتطغى سلطة القمع كنفي للعقل والوعي الفكري ونفي للحريات الفرديّة والنفي بهذا المعنى الذي عبر عليه الروائي على لسان مراد " **لقد قتلوا خالي لأنه فهم ما فهمته، أراد رفقة ثلة من رفاقه الحثالة عبر تنظيم سياسي سري قلب كل الموازين، ما كانوا يسمونه الصراع الطبقي، بحيث يصبح العبيد هم الأسياد والأسياد هم الحثالة، يبدو حقا أن شيئا أكثر أهمية ومدعاة للمجازفة والإثارة من دراسة الهندسة، لكن خالي كان مثقفا أكثر من اللازم، متأثرا بالكتب وبلغتها الغامضة أكثر، ربما من تأثره بالواقع، لذلك حلم بقلب موازين الصراع الطبقي للشعب بأكمله، وليس لنفسه فقط "[2]**

فهذا الخال يواجه الموت كل لحظة تحت وطأة الجماعات المتسلطة ونظام الحكم الذي ألف ممارسة القمع حتى أصبحت صفة ملازمة له ضد مجتمع مصاب بالصدمة والمثقف يدفع ثمن أفكاره باعتباره يملك وعيا بالواقع والتاريخ يمكنه من تسيير المجتمع وتنوره عبر التأمل في الحاضر والمستقبل بروح نقيّة لذلك يحلم بقلب الموازين لصالح الشعب.

[1] الرواية، ص18.

– [2]الرواية، ص22.

وغير أن المثقف بهذا التّصور لا يرضي النظام الذي لا يسمح لأي أحد خارج دائرته بامتلاك الوعي لأنه في هذه الحالة يشكل تهديد لوجوده واستقراره، لهذا يجب القضاء عليه والتخلص منه بمختلف الطرق مثلما حصل مع الخال مراد.

لقد عالجت الرواية موضوع الظلم السياسي الذي ضرب المغرب وشعبها الذي يعيش في حالات من البؤس والقهر والتخلف وأدى بحياة الآلاف من الناس إلى العيش في قاع الرذيلة والدونيّة، وهو أمر يحسب لكتاب الرواية المغربية المعاصرة الذين تصدوا بجرأة لمعالجة هذه المظاهر ومنهم الروائي بنمليود فقد كان من الأوائل الذين كشفوا الستار على الأوضاع المزرية التي يعيشها الشعب المغربي في ظل الظلم والحرمان الذي تفرضه الدولة والسلطة الملكية عليهم، فقد تناول بنمليود صور الظلم بأنواعه المختلفة، ماديا ومعنويا وحتى لغويا حيث يقول في هذا المقطع:" **كان خوفهم منه ورهبتهم من السلطة والمخزن أكبر من كرههم له أولا أو رغبتهم يوما في الانتفاض عليه وعليها رغم قهرها لهم بل كانوا يحاولون ذلك الإحساس الشرير داخلهم باستمرار كلّما انتابهم**"[1]

ولم يقتصر الظلم على الحرمان والقتل فقط بل تطور إلى صور أخرى وهي الظلم ضد حرية الإنسان، ضد عمله، وضد مستقبله ويقول بنمليود في هذا الموضع:" **بعد ساعة على الأكثر من صراخ الرجل ينهار أو يقفز ليؤذي نفسه فقط أو يموت بالسكتة القلبية أو يستسلم لنداءات بعض الجيران الذين يحاولون تهدئته مادين له أيديهم من الأسفل وهم يصرخون فيه بأصوات متداخلة** "[2]

[1] – الرواية، ص134.

[2] – الرواية، ص113_114.

هذا العمل التعسفي الذي تعرض إليه صاحب البيت من طرف المقدم المتسلط بقوته وجبارته كان نوع من أنواع الظلم المادي والمعنوي، فقد كان المقدم يعرف الحالة المزرية التي يعيشها أهل الحي فلهذا يرفض القايد قوته عليهم من أجل الحصول على ما يريدون من طرف الناس البسطاء الأميين الذين لا يعرفون من هذه الحياة سوى العيش في خراب وكل يوم في حياتهم يوم مضلم لا تشرق فيه الشمس أبدا في تلك النواحي ولا يرون الضوء، فهذا المجتمع الدوني كما صوره الروائي لا ترى فيه سوى الموت والجحيم والجريمة.

وكما أشرنا سابقا أن الظلم يكمن في الاختطاف والاغتيال والقتل والتكتيل، فقد أوضحت الرواية ذلك بقوله:" **كلما فقد شخص جديد ولم تظهر له ظاهرة أو قتل أصبح يعني ذلك مباشرة أنّه حق على نفسه..... وسوء أفعاله يجتمعون ويقصدون بيت أهله وفي يد أحدهم الذي يكون غالبا إما دحمان الأعرج البراح أو المحجوب الصباغ سلطة حمراء، يضعون على باب الكوخ علامة حمراء، يضعون سميكة عبارة عن خطين متقاطعين** "[1]

هكذا صور الروائي حزن الناس اليومي ومعاناتهم الكبيرة ومأساتهم كل يوم، حيث إنّه لا مكان لصورة أخرى غير صورة القتل والإجرام والظلم والعذاب والدماء تنشر داخل الأحياء المهمشة والأكثر من ذلك غياب المسؤولين ودور الشرطة كذلك وكان القتل حاضرا بقوة في الرواية بكل أنواعها وأشكاله والغالبة تعود للأقوى.

ويعود بنا الروائي من جديد ليصور لنا مأساة الإنسان المغربي وهذه المرة بهدم المقدم والقايد ورجال الشرطة بيت أحد المستضعفين، ويقول:" **تنطلق بعد ذلك مراسيم البيت بالجرافة تحت حراسة عشرات من رجال القوات المساعدة الأجلاق وإشارات المقدم الذي يكون في تلك الأثناء**

[1] – الرواية، ص135_136.

بعد غياب القايد قد استقام بخبلاء وعادت إليه هيبته وكان يبدو وسط المخازنية والناس المتجمعون كأنه هو القايد نفسه

بينما يصرخ صاحب البيت وسط كل تلك الحومة:

_ اللهم إن هذا لمنكر... اللهم هذا لمنكر...

يصرخ ويرغي ويزيد، وقد يتمرغ أرضا أمامهم، بل قد يصل به الجنون أن يعتلي السقف ويهدد برمي نفسه أو يرمي أحد أطفاله وبالاعتصام فوق الضالة هناك مقرفصا قبالتهم وهو يصرخ "[1]

حقا إننا لم نبتسم كل صباح ونحن نقابل هذه الأوضاع القاتلة لروح الإنسان المقهور الذي يعيش حالة من عداء أولا تحديد شكل المأساة في هذا الوضع الذي انتشر فيه الظلم كالجراد والشيء الظاهر في الرواية هو غياب دولة القانون يستطيع فيها ذلك الإنسان أخذ حقه، فالرواية "الحي الخطير" تحمل في طياتها الكثير من الأحداث والوقائع التي كان يعيشها الإنسان المهمش المجرد من كل حقوقه المادية والمعنويّة، فهي رواية تسرد كل أنواع الظلم والحرمان والإجرام والاغتصاب الذي عانى منه الشعب المغربي.

هكذا كانت الأرواح تقتل بسبب أو دون سبب وإن تعددت الأسباب فالموت واحد، فهؤلاء يريدون التخلص من أي شيء باستطاعته تشويه صورهم أو مكانتهم أمام الناس، هؤلاء يبيعون الوهم قبل الحقيقة، فهم يفعلون كل ما بوسعهم لكي يبقوا في الصدارة وإن تطلب الأمر القتل والاغتيال فهذا هو هدفهم في الحياة، حيث يقول الروائي في هذا المشهد " **أفرغ موسى قنينة خمسة لترات بلاستيكيّة مليئة بالبنزين حول كوخ عائلة الزيتوني، كان رفقته بالإضافة إلى اثنين من**

[1] الرواية، ص112_113.

أصدقاءه، عصابة من رفقاءه من السكارى بأذرعهم العارية الموشومة بأوشام السجن بالعقارب والأفاعي، أحدهم سبق له أن سجن سنة كاملة قبل أن يعود إليه عقله، وقد قتل أثناء السنة زوجته الحامل وأمه ولم يقاضه أحد بسبب جنونه، كل واحد منهم كان يحمل في يده قيمة خمسة لترات مليئة بالبنزين، تقدموا جميعا وبنزنوا الكوخ جيّدا قبل أن يعل كل واحد منهم وقيده ويلقيها اتجاه الكوخ من جهات مختلفة. "[1] فهم يمتلكون ويمارسون سياسة القتل والظلم فقد أصبح القتل دينا وشريعة في ذلك الوسط والأهم من ذلك أن الشرطة لا تبحث عن القاتل المهم أن تقتل فحسب.

إنّ الظلم فعل يمارس من الأقوى على الضعيف من الفئات المهمشة والمقهورة مقارنة بالطرف الآخر الذي يساهم في تشكيل نفسه على حسابه وقد تحدثت رواية عن ذلك السلوك الذي ينتقل من أصغر منظومه بشريه ليشمل باقي الأنظمة الأخرى للحياة وتهميشه بدا من خلال فرض سلطة الدولة المركزية داخل الحي والظلم ليس شيئا طبيعيا في الانسان حسب الكاتب وانما هو مكتسب ونظرا لانتشاره القوي وأمام السكوت بعض الجهات سار وكأنه مولود طبيعي مع ممارسته فتحول الى شيء عادي وبذلك نتج عن بدورها تنتج اشد انواع الظلم في المجتمع.

6/ المكان بين المركز والهامش:

عرض الروائي بعض الشوارع المتمثلة في مركز السلطة أمثال شارع محمد الخامس والحسن الثاني التي تعد من أكبر المدن المتواجدة في المغرب التي فيها أحياء موجودة وهي في طي النسيان يعيشون في ظروف مأساوية والمشاهد المقززة والحقائق المروعة كلّها تجعل ضحايا هذا الواقع المزري الذي يعيشون فقط لكي يموتوا بسلام " **فرغم أنَّ الحيَّ يوجد في مدينة تعتبر عاصمة**

[1] الرواية، ص.ن.

على حدِّ علم الجميع داخل دولة لها نظامها الحاكم ودستورها وقانونها وبرلمانها ووزاراتها ومؤسساتها وبناياتها العالية أحيانا وقصورها وعسكرها وبوليسها ووجهها المدني الحديث في شوارعها الرئيسية كشارع محمد الخامس أو شارع الحسن الثاني الا أنَّ أهل الحي ظل دائما في معزل عن كل هذا رغم أنهم يعيشون ويموتون داخله"[1] لكن ينكرون بشكل حقوقي في الهروب حتى وان لم يسعفهم الحظ لبناء تصورهم الذي يشمل أهدافهم البعيدة والقريبة ووسائلهم لتحقيق تلك الأهداف لكن ينكرون بشكل حقوقي في لتحقيق تلك الأهداف.

يستحضر الكاتب مدينة الهامش "عكراش" من أكبر المدن لترويج وبيع الحشيش حيث يساعد هذا المكان في انتاج ثروة طائلة كان من الممكن أن تخرج الشعب من ذلك الفقر الذي كانوا عليه لو سخرت لأجلهم. هذا الحي ينفتح على كل أشكال التدهور الأخلاقي والقذر. فيه يتم جعل الأفراد مجرده أناس لا يفقهون شيئا فهم مجرد ناس بسطاء يعيشون في قاع المدينة يقول السارد: "**كنا قد كسبنا ثقته عصابة كبيرة فيها كراش مروجة بالجملة للحشيش والبودرة فقررنا أن نجمع مالا كافيا لشراء كمية محترمة من بضاعة من نوع آخر**"[2] وهكذا لا تحضر عكراش المدينة كمكان مناسب للمهمشين الذين يسعون إلى كسب ثروة والعيش في أحسن احوالهم فقد أصبح الحي وحشا يفترس كل من عليه فعكراش مكان منزوي واساسي في قلوب كل العصابات ومكسب لهم.

يصف الكاتب هنا لنا الأماكن بطريقة واقعية ليقربنا من مسرح الاحداث ونعيش معهم لحظات والمشاهد بصدق غير أنَّه ركز على الوجه الجميل لمدينة واضحة حيث يقول: "**تواصل طريقنا عبر حسنان حتى سلا التي أتامل ابراجها العالية وبابها العملاق واعشاشها لقلقها التي تطقطق أحيانا بمناقيرها كمقصات الحلاقين ننزل عبر الساقية حتى ثم نصعد حتى تبلغ مداخل الاكواخ**

[1] – الرواية، ص130.

[2] – الرواية، ص24.

كانت تلك هي فسحه الوحيدة خارج الحي فقد اصبحت حقا مع الوقت زياره قبر ابي لا تعني لي سوى الفسحة البهيجة ولا قالق وحمص كمون اللذيذ"[1]

هذه الصورة الجميلة التي رسمها الكاتب لنا تجعلوا من القارئ يتساءلون عن مدى الفرق الكبير الموجود بين الحي وهذه المدينة التي تملك أبراجا عالية ام هي محاوله من المبدعين لتعميق الوعي بمدى خطورة الوضع الذي يسود داخل الحي يحاول مراد واصحابه الهروب من هذا المكان المتمثل في الحي الذي يفتقر لأبسط وسائل الراحة ويعاني من التهميش والفقر والبؤس حيث اراد الوصول الى الاماكن الاكثر امانا ليعيش بسلام لكن الحظ لم يسعفهم حيث يقول **ولم نصل ذلك اليوم الى "عكراش" ولم نجد مالا ولم نعبر سور الاعراف الذي بين النار والجنة**[2] وهكذا أدرج الروائي على لسان "مراد" الحي الخطير مقابلا لحي "عكراش" ضمن ثنائية مقابلة بين النار والجنة ملحقا صورة النار بحيه وهذا يكشف مدى اتساع الهوة بين الموضعين.

يبرز المكان في رواية كعنصر مهم من عناصر السرد الروائي حيث تدور الاحداث فيه وتتحرك الشخصيات في المكان المحدد وتتكشف أهدافهم ويؤدي دورا مهما من خلال توضيح الرؤية فالمكان في رواية الحي الخطير يقوم على الصراع بين المدينة والقرية في ثنائية المركز والهامش فيرصد لنا محمد بن ميلود فضاءات مختلفة حيث تعتبر المدن العملاقة في المغرب مركزا اقتصاديا وتعتبر الأكواخ والبراري هامشا. يقول مراد "**وقفت.... الحائط أطل على الحي الصحيح العملاق وجدته من ذلك العلوي في ذلك المساء الصيفي الطويل الهادئ لا نهائيا حزينا مهيبا وتنبع منه طاقة الموت والفناء أكثر مما تنبع منه طاقة الحياة رغم كثافته السكانية الهائلة وتشابك اكواخه**

[1] – الرواية، ص169.

[2] – الرواية، ص179– 180.

وبراريك على مد البصر وخصوبة سكانه وضجيج أطفاله اللانهائيين[1] لقد رسم الروائي من خلال هذا الوصف صورة المكان المركز ومظاهره المحيطة به.

من هنا نخلص إلى القول بأنَّ المكان في الرواية قد أثث للسرد وأدى وظيفة دلالية أبعد من مجرد تأدية وظيفة مكانية في الرواية، فمن خلال هذا الفضاء تم الكشف عن ثنائية المركز والهامش جغرافيا وعبر تحرك الشخوص فيه رصدت هذه الجدلية ومدى تأثير الصراع بين المركز والهامش على الهامش تحديدا.

[1] – الرواية، ص47– 48.

خاتمة

خاتمة:

أفضت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نحوصلها فيما يلي:

- ✓ لم يحمل المدلول اللغوي المفهوم الحديث لمصطلح الهامش غير أنّه جمل بعض خصائصه ومن ذلك احتلاله مكانة أقل مما تم التهميش عليه وقد اكتست مفردة الهامش معان مختلفة بتغير السياقات وبتغير الاشتقاقات اللغوية لها فالهمش الحلب والعضُّ ان تعلق الأمر بالحيوان وهي الاكثار من الكلام والاستزادة فيه إن ارتبطت الكلمة بالكلام، غير أنّ المستقر لدى الأغلبية هو المعنى الدال على حاشية الكتاب والتي تأخذ على عاتقها الابانة والشرح والتعقيب والتفصيل عن محتوى المتن تفاديا لحشو المتن بزوائد قد تخرج به عن فائدته. أما المركز فيمتاز حسب تحديده اللغوي بالثبات والاستقرار وهي أشبه بحال المركز في مفهومه العام إذ يمثل عنصرا يحاول تثبيت نفسه والحفاظ على استقرار مركزه.
- ✓ الهامش مصطلح سوسيولوجي اجتماعي دلّ في السبعينات على المجموعة البشرية المقصاة من التفاعل الاجتماعي لأسباب عرقية أو جنسية أو طبقية وتتغير علاقته بالمركز فقد تكون تآلفية أو صراعية ضدية أو تكاملية، خصوصا باتخاذ الهامش أبعادا كثيرا باختلاف فعل التهميش الذي قد يتخذ صورة تهميش فكري أو حضاري أو ثقافي أو إيديولوجي أو سياسي أو عرقي أو جنسي. ولذلك يصعب حصر الهامش في مجال دون آخر. وبالتالي يتخذ مفهوما معينا وفقا لهذا المجال.
- ✓ المركز هو كل سلطة تُهيمن على الصعيد الاجتماعي والسياسي والأدبي والثقافي والاقتصادي في المجتمع بحيث تكتسب شرعيتها من اقصاء الهامش وهو النموذج الأمثل المكتمل الذي يحتذى به لهذا فهو يحظى بالرعاية من طرف السلطة لأنّه يحقق مصالحها ويستر عيوبها، أما الهامش فيطلق عليه كل ما هو دوني متروك ومتجاوز وغير مرغوب فيه. يتطلب تحليل

ظاهرة الهامش في أي مجال قراءة مزدوجة لطبيعة موضوع الهامش في حد ذاته بوجهة ثنائية فلا يمكن أن نتحدث عنه بمعزل عن المركز سياقيا.

- ✓ إنّ محاولة تعيين المركز والهامش يرتبط أساسا بنمط السلطة وطبيعتها في تبنيها لمرجعية ما كالدين والأخلاق أو العرف الاجتماعي أو المعرفة العلمية فيكون الصراع على أساس الشرعية الدينية أو الطبقية أو العرقية أو المعرفية.
- ✓ الهامش الاجتماعي هو مصطلح يطلق على فئة المنبوذين والمقصيين في المجتمع الذين يمتازون بنزوعهم نحو التمرد وسعيهم الى كسر سلطة المركز وليسوا منحرفين بالضرورة كما يطلق على الفئة غير الكادحة في المجتمع، أما الهامش الفلسفي فهي حركة عميقة وجدلية بين المركز والهامش تتخذ أبعادا فلسفية أين يقصي أحد الطرفين الآخر فيكون مرتبطا بفلسفة الأنا والآخر ويأخذ المفهوم فلسفيا بعدا أنطولوجيا مرتبطا بالذات التي تشكل الآخر وفق منظورها.
- ✓ أدب الهامش هو الأدب الذي يصدر عن المقصي اجتماعيا أو المتناول لقضايا الهامش بحيث يسلط الضوء على معاناتهم وصعوباتهم فهو كل أدب منبوذ تم التخلي عنه لغاية أو سبب يخدم المركز أو بعبارة أخرى هو أدب تم انتاجه خارج المؤسسة.
- ✓ تحقيق المركز لفعل الاقصاء على الهامش مرهون بخضوع هذا الأخير له فالهامش حسب الرواية هم من يصنعون طغيان المركز بتقديسهم لشخصياته (المقدم والقايد...) واذلال أنفسهم أمامهم.
- ✓ المثقف (ممثلا في خال مراد) من الهامش هو القنبلة الموقوتة لأية ثورة أو انقلاب ناجح على سلطة المركز لذلك فأول من يتم اقصاءهم وتهميشهم أو حتى قتلهم هم المثقفين لأنّهم قادرين على تثوير الوعي والمساهمة في تغيير بنية التفكير وارشاده.

- ✓ اعتبر محمد بنميلود التاريخ السياسي قالبا مزورا بحيث لا توجد حقيقة فعلية. يمثل هذا العمل الروائي التفاتة سردية إلى حقيقة علاقة السلطة بنظام القوى وتوزيعها في المجتمع لتسلط الضوء على تمظهرات كثيرة للتسلط السياسي الذي قضى على احلام الشعب وطموحاته.
- ✓ يبرز المكان في رواية "الحي الخطير" كعنصر مهم من عناصر السرد روائي حيث تدور الاحداث فيه وتتحرك الشخصيات في المكان المحدد وتتكشف أهدافهم ويؤدي دورا مهما من خلال توضيح جدلية المركز والهامش جغرافيا فالمكان في الرواية يقوم على الصراع بين المدينة والقرية في ثنائية المركز والهامش فيرصد لنا محمد بن ميلود فضاءات مختلفة حيث تعتبر المدن العملاقة في المغرب عباره عن مركز وتعتبر الأكواح والبراري عباره عن الهامش.
- ✓ رصد الروائي بنميلود في روايته آليات اقصاء المركز للهامش المتمثلة في استغلال المؤسسات الأمنية والعقابية (السجن) لفرض السلطة إضافة إلى منح المناصب التابعة للمركز لمن يبدي الولاء والطاعة للسلطة وتعنيف أفراد المجتمع واقصائهم من التفاعل الاجتماعي واستغلال أصحاب العلم والثقافة لصالحهم.
- ✓ سلطت الرواية الضوء على العنف بوصفه سلوكا ينتقل من أصغر منظومة بشرية ليشمل باقي الانظمة الاخرى للحياة وتهميشه بدا من خلال فرض سلطة الدولة المركزية داخل الحي والظلم ليس شيئا طبيعيا في الانسان حسب الكاتب وانما هو مكتسب ونظرا لانتشاره الواسع وامام السكوت بعض الجهات سار وكأنَّه مولود طبيعي مع ممارسته فتحول الى شيء عادي وبذلك نتج عن بدورها تنتج أشدَّ انواع الظلم في المجتمع.
- ✓ الاقصاء في الرواية مرادف للتهميش فكلاهما يدلان على موضوع واحد وهو عدم القدرة على الاندماج في المجتمع وبذلك عدم القدرة على المشاركة في الانتاج والاستهلاك والعمل السياسي والتعامل الاجتماعي وهذا النوع يركز على استعداد الطبقات الفقيرة والمحرومة والطبقات المهمشة بمعناه الواسع.

ملحق

ملخص وقائع الحي الخطير:

تروي رواية الحي الخطير للكاتب محمد بنميلود أحداثا متعلقة بالشخصية السرد مراد، الذي يعيش في حي هامشي هو حي أبي رقراق والذي يدخل السجن حقيقة بسبب ميوله الثورية والتي تكونت لديه انطلاقا من قراءته الكثيرة لكتب خاله ومنشورات السياسية التي تحرض على التمرد، مراد لا يختار طريق المثقف النضالي الذي أدى إلى مقتل خاله، بل يبحث عن العدالة الاجتماعية بسلطة السكين، بعد أن تغيرت مفاهيمه عن الفقر والطبقات الاجتماعية وأصبحت تؤكد أن النضال يجب أن يكون من منظور العصابات. يبدأ مراد في التخطيط للحصول على الثروة بنهب العصابات الأخرى والمتاجرة بالمخدرات، مع صديقين له هما عبد الرحمن ورشيد طامعا أن يغادر حي الرقراق إلى حي أغنى هو حي الرياض.

اضطر مراد وصديقي إلى قتل رجلين من عصابة أخرى من عكراش فانتقموا لهما بحرق بيت رشيد مما أدى إلى إصابة أخته وأمه بحروق، وعليه ينتقل رشيد ومراد إلى السكن مع عبد الرحمن في بيته الأسمنت احتراسا من العصابة الأخرى ولم تكن الشرطة تتدخل.

يذهب مراد مع عبد الرحمان آخذين معهم مبلغا من المال وبودرة بيضاء من المخدرات فيهاجمان من طرف الشرطة يموت عبد الرحمن برصاصها، وفي نفس الآن يقتحم بيت عبد الرحمن ويقتل رشيد وزوجة عبد الرحمن من طرف أفراد عصابة من عكراش.

مات الصديقان وسجن مراد بعد تلفيق تهمة قتل خنفاش له، وفي السجن يتذكر ذكريات متعددة تخص صديقي وتفاصيلها في حياة الحي. يحاول الهروب من السجن مع صديقه عبد الرزاق فيعاد إليه ويفصل صديقه عنه.

يختم الروائي أحداث قصته بفصلين فصل ثان هو الطريق إلى عكراش يضم تفاصيل واقعة الانطلاق إلى عكراش والمواجهة مع الشرطة، وفصل ثالث يستعيد فيه السرد مسار الطفولة ونشأة الشخصيات وبعض تفاصيل حياتها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، لنان، د.س، مج 6.
2. محمد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص450 .
3. المعجم الوسيط منشورات مجمع اللغة العربية، ط4، منشورات مكتبة الشروق الدولية، 2004، مصر، ص994.

الكتب:

4. ولترستين تاريخ الفلسفة الإنسانية تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1974، دط،
5. إدغار موران النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية تر هناء صبحي هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث ط1، 2009، الإمارات،
6. سعد البارغي الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008،
7. محمد سعيد طالب الثقافة المقهورة والثقافة المنتصرة ط1 الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع سوريا دمشق 2000،
8. آلان دونو، نظام التفاهة، تر: مشاعل عبد العزيز الهاجري، دار سؤال للنشر، لبنان، بيروت، 2015،
9. جمال مجناح، جدل المفاهيم في موضوع التهميش والمهمشين، قراءة تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجازرة، جامعة المسيلة، الجزائر.

10. جون ستوري، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية، ترجمة: د. صالح خليل وفاروق منصور، هيئة أبو ظبي، ط1، 2014، ص18.
11. شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والسرد والآداب، الكويت، 2008، د.ط، ص14
12. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة المدارس للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
13. عبد السلام بنعبد العالي، العقلانية ساخرة، دار توبقال للنشر المغرب، ط1، 2004، ص59.
14. عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر ،1985، ص18.
15. عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، ط1، دار صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ص16.
16. عبد الله ابراهيم، المركزية الغربية، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الامان الرباط ط1، 2010، ص10
17. عبد الله الغذامي، الليبرالية الجديدة، أسئلة في الحرية والتفاوضية والثقافية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2013، ص211.
18. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2005، ص224.
19. عزيز لعكايشي، الحوار مع الآخر، بين ثقافة في عصر الهامش وثقافة المركز في عصر العولمة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص181.
20. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط4، 1984، ص14.

21. محمد أمنصور ، استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2006،

22. محمد نور الدين أفاية، الغرب والمتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الاسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000، ص128.

23. منير مهادي، نقد المركز وفكر الاختلاف، مقاربة في مشروع عبد الله ابراهيم، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، الروافد الثقافية ناشرون، 2013، ص40

24. هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيوثقافية، دار النشر والتوزيع القاهرة،ط1، 2015، ص47.

25. <u>المجلات:</u>

26. **مجلة مقاليد**، ع14، 2018، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

27. **مجلة كلية الآداب واللغات**، ع13، بسكرة، جوان 2013.

28. **مجلة أوروك للعلوم الإنسانية**، العدد الأول، المجلد الثاني عشر، 2019، جامعة القادسية | كلية الأدب.

29. **مجلة مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها**، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، حي المجاهدين بسكرة، ط1، 2012، ص35.

30. **مجلة جسور المعرفة**، مج 6، ع1، مارس2020، ص70

31. **مجلة المخبر**، ع14، بسكرة، 2014، ص19.

32. **مجلة أفق مجلة الخليج**، 2015/08/15، ص01.

33. **المجلة المغاربية للكتاب**، ع14، 1998.

34. **مجلة الخطاب**، مج13، ع1.

35. **مجلة الخطاب**، مج13، ع2،

ندوات:

1) عبد العالي بوطيب، الرواية المغربية ورهاناتها، ندوة في (الرواية المغربية: اتجاهات وأشكال) المنظمة من قبل شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، يومي 14/13 مارس 2002، تكريما للأستاذ والروائي المغربي محمد برادة، https://www.aljabriabed.net

2) محمد عز الدين التازي، الرواية المغربية وتحديث الأشكال، ندوة المغرب ديناميات سياسية وثقافية، 13-16 ماي، غرناطة، 2008

الأطروحات والمذكرات:

سامية حامدي، التجريب السردي مقاربات في الرواية المغاربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب الحديث، اشراف: محمد لخضر زبادية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2018/2017.

الصفحة	فهرس المحتويات
أ	مقدمة.....
4	**مدخل: نشأة وتطور الرواية المغربية.....**
6	1-1/ المرحلة التأسيسية:.....
6	1-2/ المرحلة الواقعية .....
9	1-3/ مرحلة التجريب.....
14	**الفصل الأول: التأصيل المفاهيمي لمصطلحات البحث**.....
14	**1/ مفهوم الهامش والمركز:**.....
14	**1-1/ مفهوم الهامش** .....
14	1-1-1/ الحد اللغوي.....
16	1-1-2/ المفهوم الاصطلاحي.....
19	**1-2/ مفهوم المركز**.....
19	1-2-1/ التحديد اللغوي.....
19	1-2-2/ المفهوم الاصطلاحي.....
21	1-3/ العلاقة بين الهامش والمركز .....
26	**2/ أنواع الهامش**.....
26	2-1/ الهامش الاجتماعي .....
29	2-2/ الهامش الفلسفي.....

2-3/ الهامش في حقل الأدب.....	31
الفصل الثاني: الهامش والمركز في رواية "الحي الخطير" لبنميلود ...	41
1/ أشكال المسكوت عنه في الرواية	41
1-1/ المسكوت عنه سياسيا.....	41
1-2/ المضمر الاجتماعي	46
2/ سلطة المؤسسات الأمنية	49
3/ الدين والصراع الاجتماعي.....	55
4/ الهامش واللغة الاجتماعية	56
5/ آليات التمركز ومقاومة الهامش	63
5-1/ الاقصاء.....	63
5-2/ العزلة الاجتماعية.....	69
5-3/ العنف.....	74
5-4/ الظلم.....	79
6/ المكان بين المركز والهامش.....	84
خاتمة.....	89
ملخص مضمون رواية الحي الخطير.....	93
قائمة المصادر والمراجع.....	96
فهرس المحتويات.....	100

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى رصد تمظهرات صورة المركز والهامش في الرواية المغربية ، وذلك بتقديم لمحة عامة عن المركز و الهامش وعلاقته بالمصطلحات و الدراسات الأدبية ، ولمعرفة مدى تجلياته في الرواية ، فقمنا بدراسة اجتماعية لنموذج هي : " رواية الحي الخطير " لمحمد بنميلود " التي تناولت التهميش الاجتماعي و السياسي الذي شاهده المجتمع المغربي .

حاولنا في هذه الدراسة أن نستسقى كل أشكال التهميش سواء كان تهميشا على أساس العرق أو الدين .فحددنا آليات التمركز ومقاومة الهامش كالإقصاء و العزلة والظلم والعنف 'لنتواصل في الأخير أن صورة الإنسان المهمش في الرواية المغربية ما ه إلا صورة واقعية يطالها الإذلال و الخضوع .

الكلمات المفتاحية :

المركز، الهامش ، السلطة ، المجتمع، الدين .